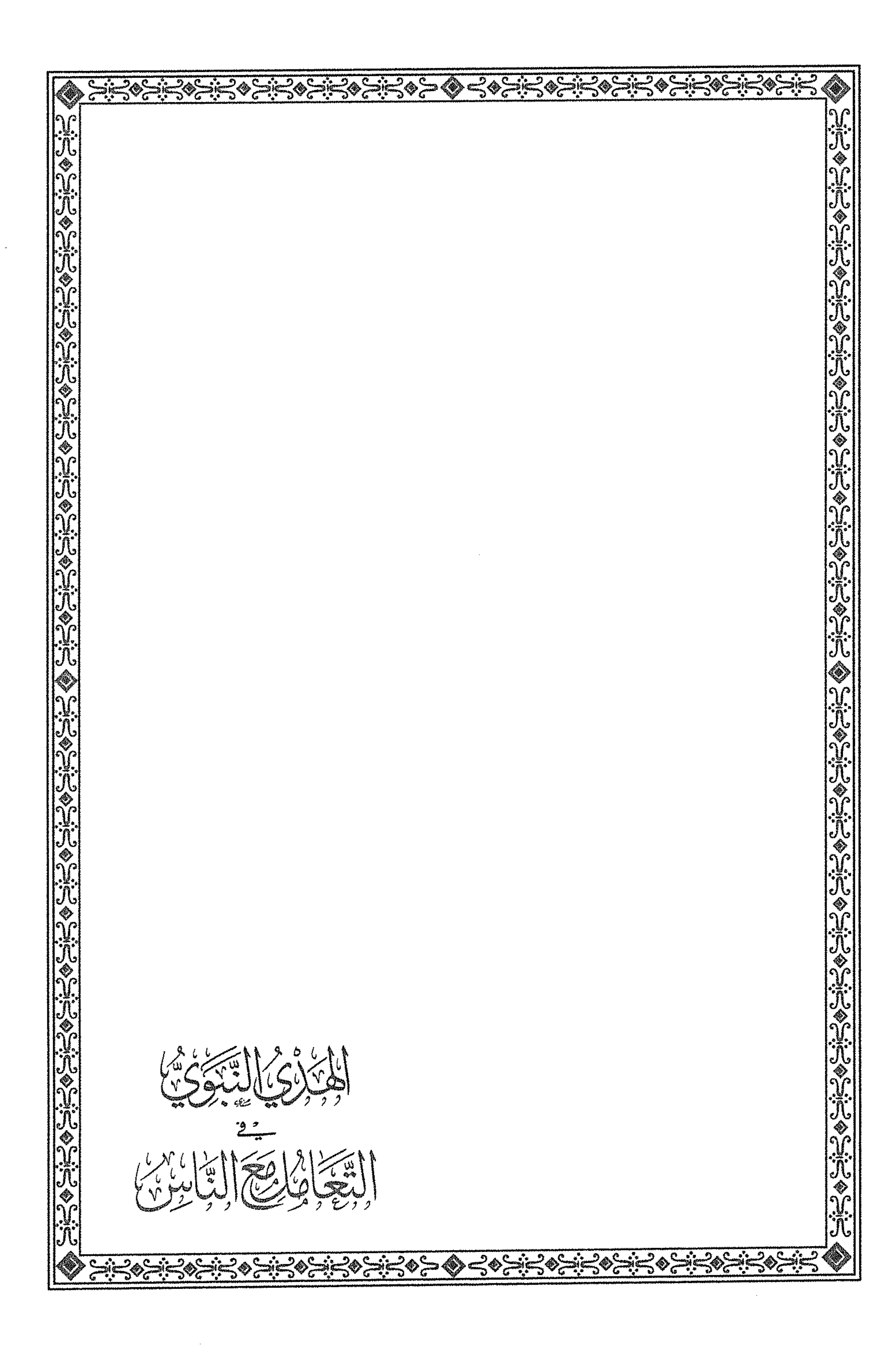
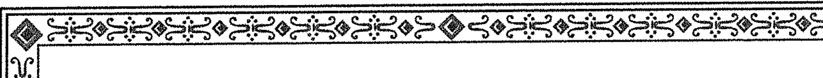
سلسلة البحوث العلمية المحكمة
٥٩

الهدي النبوي في التعامل مع الناس

تأليف
د. صالح بن فريح البهلال
الأستاذ المشارك في كلية التربية بالزلفي
جامعة المجمعة

دار ابن الجوزي


الهدي النبوي
في
التعامل مع الناس



ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البهلال، صالح فريح صالح
الهدي النبوي في التعامل مع الناس. / صالح فريح صالح البهلال.- الدمام، ١٤٣٥هـ
١٢٧ص؛ ١٤ × ٢١سم
ردمك: ٨ ـ ٣٠ ـ ٨٠٦٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ الأخلاق الإسلامية ٢ ـ العلاقات الإنسانية ٣ ـ السيرة النبوية
أ ـ العنوان
ديوي ٢١٢ ١٤٣٥/٧٠٤٠

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

سلسلة البحوث العلمية المحكمة (٥٩)

الهدي النبوي

في

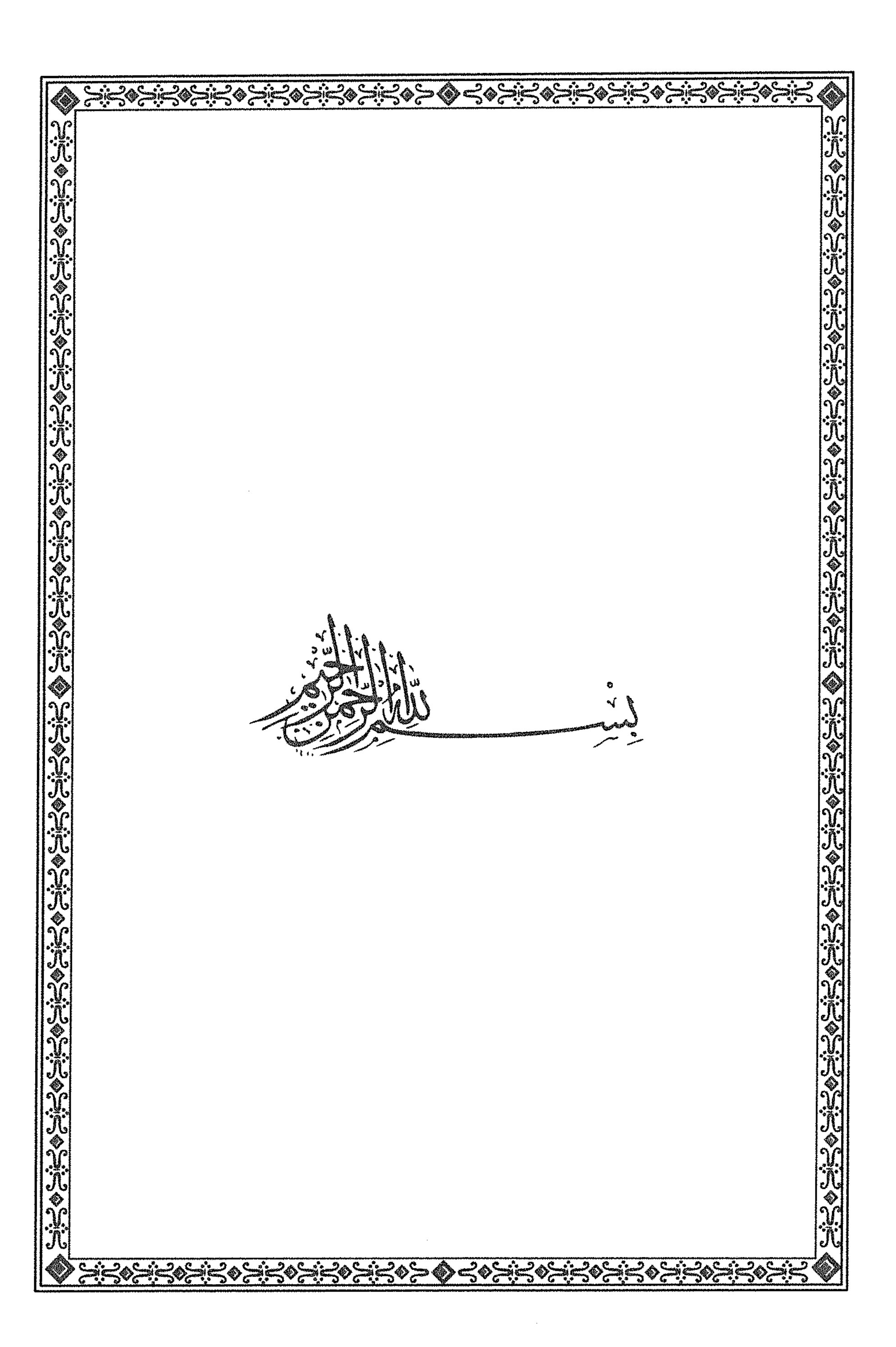
التعامل مع الناس

تأليف

د. صالح بن فريح البهلال

الأستاذ المشارك في كلية التربية بالزلفي - جامعة المجمعة

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ نبينا محمداً ﷺ خيرُ الناس هدياً، وأحسنُهم خُلقاً، وأنبلُهم نفساً، وأجزلهُم مروءة.

وإن الحديث عنه ﷺ لحديثٌ شائق رائق، تتهلل له الأسارير، وتنشرح له الصدور، وتطمئن به القلوب.

وبين يديك أيها القارئ الكريم بحث بعنوان «الهدي النبوي في التعامل مع الناس».

جمعت فيه أبرز ما وقفت عليه من هديه ﷺ في تعامله مع الناس.

وإن طرقَ هذا الموضوع والبحث فيه من الأهمية بمكان؛ وذلك لأمور، منها:

١ ـ أن النبي ﷺ أسوتنا وقدوتنا؛ وقد يخفى على الناس هديه في بعض معاملاته، فإشاعة هديه، ونشر أخلاقه سبيلٌ لاقتفاء أثره، واتباع سنته، وسلوك طريقته.

---

(١) هذا البحث مُحكَّمٌ من قِبَل مركز البحوث الشرعية في جامعة القصيم بتاريخ ١٤/٤/١٤٣٤هـ، ثم نظرت فيه بعد ذلك، وزدت عليه زيادات.

٢ ـ أن الله ـ جل في علاه ـ خلق الإنسان، مدنياً بالطبع؛ يؤثر الاجتماع على العزلة، فلم يوجدْه في جوف مغارة، ولا في زاوية صومعة، ولا على رأس جبل؛ بل أوجده مخالطاً بني جنسه؛ يتقلب في أحوال، وتمر به في حياته أطوار؛ حيث يعيش بين أبوينِ وإخوان، وأقاربَ وجيران، ومعارفَ وخِلان، وزوجٍ وولدان.

وبعض العبادات التي أمر بها الشارع تطلب لها الجماعة؛ ولا يحسن بمن هذه صفته أن يجهل الهدي النبوي في التعامل مع الناس؛ ولذا فقد كان من دعاء النبي ﷺ إذا خرج من بيته: «**اللَّهُمَّ إنا نعوذ من أن نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظلمَ، أو نُظلمَ، أو نَجهلَ، أو يُجهلَ علينا**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود ح(٥٠٩٤)، والترمذي ح(٣٤٢٧)، والنسائي ح(٥٤٨٦) و(٥٥٣٩)، وابن ماجه ح(٣٨٨٤)، وأحمد ٤٤/ ٢٩٩ ح(٢٦٦١٦) و(٢٦٧٠٤) من طريق الشعبي، عن أم سلمة، وقد نقل الحافظ ابن حجر في التهذيب ٥/ ٥٩، ونتائج الأفكار ١/ ١٥٧ عن ابن المديني أن الشعبي لم يلق أم سلمة، لكن قال العجلي في الثقات ٢/ ١٢: «مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحاً»، وقال الذهبي في الموقظة ص٣٩ ـ ٤٠: «إن صح الإسناد إلى تابعي متوسط الطبقة، كمراسيل مجاهد، وإبراهيم، والشعبي فهو مرسل جيد، لا بأس به، يقبله قوم ويرده آخرون».

وقد أثبت سماع الشعبي من أم سلمة أبو داود، كما في سؤالات الآجري ١/ ٢٠٢، وقد صحح الحديث الترمذي في جامعه، والنووي في الأذكار ص٣٢، وابن القيم في زاد المعاد ٢/ ٣٣٥، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار ١/ ١٥٧.

قال الطيبي: «إن الإنسان إذا خرج من منزله، لا بد أن يعاشر الناس، ويزاول الأمور، فيخاف أن يعدل عن الطريق المستقيم، فإما أن يكون في أمر الدين، فلا يخلو من أن يَضل أو يُضل، وإما أن يكون في أمر الدنيا، فإما بسبب جريان المعاملة، بأن يَظلم أو يُظلم، وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة، فإما أن يَجهل أو يُجهل عليه؛ فَاسْتُعِيْذَ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، وَرُوعِيَ المطابقة المعنوية، والمشاكلة اللفظية»[١].

٣ ـ أن إرادات الناس مختلفة، ومداركهم متفاوتة، والعجلة فيهم مطبوعة، والأصل فيهم الجهل والظلم، ولا يسلم ذوو هذه الحال من جهل بعضهم على بعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه وإعطائه ومنعه وأكله وشربه ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافى جهله، وعدل ينافى ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم»[٢].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي ٦/ ١٩٠٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤/ ٣٨.

والعلم المفصل، والعدل المفصل لهذا الإنسان في معاملته مع الناس تكون في معرفته الهدي النبوي في ذلك؛ حتى يجتنب الظلم والجهل؛ فبذلك تبقى المودة، ولا ينفرط عقد الأخوة.

٤ ـ أن الناظر في أحوال الناس في هذا الزمان يجد أنهم يعانون من تفرق كلمتهم، وتشتت شملهم، وذلك جرَّاءَ أمور مَهينة، انتهز الشيطان فيها فُرصة، واهتبل فيها غِرة، فصعَّد فيها وصوَّب، فانجلت عن شقاق، وسوء أخلاق.

وأضرب على ذلك أمثلةً ليست من نسج الخيال، وإنما هي من واقع الحال:

فهذا قد شاكس أباه على منعه حقاً له؛ لا يساوي معشار كد والده عليه.

وذاك قد قطع أخاه؛ لأجل اختلاف في قسمة ميراث.

وهذا قد فارق زوجه الحَصَان الرزان؛ إثر خلاف يسير، يرد عادةً في الحياة الزوجية.

وذاك قد سخط على فلان ـ من جماعة مسجدهم ـ لأنه ـ بزعمه ـ قد ابتلاهم بفتح أجهزة التكييف في المسجد.

وهذا قد هجر جاره؛ لأن ابن جاره خاصم ابنه مرة.

وذاك قد قطع صلة قريبه؛ لأنه تذرَّع به في شفاعة، فلم يشفع، ولم يرفع.

وهذا شكاكٌ مرتاب تكاد مرارته تميَّز من الغيظ، على فلان وفلان، لا لشيء؛ وإنما لأنه كلَّف نفسه ما لم تُكلَّف، فاشتغل بتفسير المقاصد، فهو ثائرٌ على فلان؛ لأنه قال كلمة في مجلس، يظن أنه لا يقصد غيره بها، وهو ساخطٌ على فلان؛ لأنه ـ بزعمه ـ متكبر، وافقه مرة فلم ينظر إليه إلا بطرْف فاتر، وهو منقبض عن فلان؛ لأنه ـ فيما يظهر له ـ يتلظى صدره عليه من الحسد.

وتلك امرأة، تزوي ما بين عينيها ـ دوماً ـ على امرأة ابنها؛ لأنها لم تقم بحقها ـ زعمت ـ.

وأخرى صرمت حبال الوصل مع شقيقتها؛ وذلك لأجل خصومة أولادهما المتكررة.

إلى غير تلك الأحوال، التي تنقبض لها الصدور، وتشمئز منها النفوس، وتحدث فيها لوعة مؤلمة، ومسًّا موجِعاً.

وكل هذه الأمور تبين أهمية جمع ما تيسر من الهدي النبوي في التعامل مع الناس، لعله أن ينظم فيهم شملاً قد تمزق، ويجمع شتاتاً قد تفرق.

وقد جعلت البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث:

المقدمة، وذكرت فيها أهمية الموضوع، وخطته، ومنهج البحث فيه.

المبحث الأول: هديه ﷺ العام في التعامل مع الناس، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معاملته ﷺ الناس بحسن الخلق.

المطلب الثاني: معاملته ﷺ الناس على حسب طبائعهم.

المطلب الثالث: معاملته ﷺ الناس على حسب منازلهم.

المطلب الرابع: معاملته ﷺ الناس على حسب عقولهم.

المطلب الخامس: معاملته ﷺ الناس على ظواهرهم.

المبحث الثاني: هديه ﷺ في التعامل مع الخاطئين عليه، وفيه تمهيد، وستة مطالب:

تمهيد: لزوم الخطأ للإنسان.

المطلب الأول: تغافله ﷺ عن الأخطاء.

المطلب الثاني: اعتذاره ﷺ وقبوله أعذار الخاطئين.

المطلب الثالث: حسن ظنه ﷺ بمن نسب إليه الخطأ.

المطلب الرابع: إعراضه ﷺ عن الجاهلين.

المطلب الخامس: عفوه ﷺ عن الخاطئين.

المطلب السادس: إحسانه ﷺ إلى الخاطئين.

المبحث الثالث: مما يعين على تطبيق هذا الهدي النبوي.

ثم جعلت خاتمة في آخر البحث تضمنت أهم النتائج، وبعدها وضعت فهرساً للمصادر والمراجع، وفهرساً للموضوعات.

وقد سلكت في البحث الخطوات التالية:

١ ـ أكتب عنوان المطلب، وأذكر تمهيداً يسبق الهدي النبوي، ثم أذكر الهدي النبوي في ذلك.

٢ ـ لا أستقصي ذكر جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك، وإنما أذكر ما ينجلي به الهدي النبوي المُعَنون له.

٣ ـ أذكر ما يؤيد المطلب من الآيات القرآنية.

٤ ـ أذكر من كلام أهل العلم، وشراح الحديث ما أرى أنه يزيد المطلب تجلية ووضوحاً.

٥ ـ أذكر شيئاً يسيراً من سير بعض السلف، مما أرى أنه يدعم المطلب ويقويه.

٦ ـ أذكر بعض الأبيات الشعرية، مما أراه يدعم المعنى؛ (فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها)(١).

٧ ـ في تخريج الحديث، أكتفي بتخريجه من الصحيحين إن كان الحديث فيهما أو في أحدهما، فإن لم يكن فيهما أو في أحدهما فإني أكتفي بتخريجه من السنن الأربع مع مسند الإمام أحمد، فإن لم يكن الحديث في هذه الكتب، فإني أخرجه من الكتب المسندة التي أقف عليها مقتصراً على كتاب أو كتابين.

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص١٢٤.

٨ ـ في بيان درجة الحديث، إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما ذكرت من كلام أهل العلم ما تتضح به درجة الحديث، فإن كان في الحكم تعقب ذكرته، فإن لم أجد أحداً حكم عليه، اجتهدت في ذلك، وبينت درجته.

والله الموفق الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم، لا رب غيره، ولا معبود بحق سواه.

وكتبه
د. صالح بن فريح البهلال
١٤٣٥/٧/٢٥هـ
saleh.f.b@gmail.com
sf.albahlal@mu.edu.sa

المبحث الأول

هديه ﷺ العام في التعامل مع الناس

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معاملته ﷺ الناس بحسن الخلق.

المطلب الثاني: معاملته ﷺ الناس على حسب طبائعهم.

المطلب الثالث: معاملته ﷺ الناس على حسب منازلهم.

المطلب الرابع: معاملته ﷺ الناس على حسب عقولهم.

المطلب الخامس: معاملته ﷺ الناس على ظواهرهم.

المطلب الأول

معاملته ﷺ الناس بحسن الخلق(١)

لا ريب أن معاملة الناس بحسن الخلق من أعظم ما يجلب الودَّ، ويُحِلُّ الوفاق، وينفي الفُرقة، ويزيل الشقاق.

فلو كان حسن الخلق بشراً لكان أجمل من بدر التمام، ولو كان شراباً لكان أعذب من وبل الغمام.

وإنك لترى الرجلَ الذي يذكر بِغلَظ الطباع، وفظاظة الأخلاق، وخشونة المعاملة ما إن تتطلقْ في وجهه، وتَهَشَّ له بكلام لين، إلا وتجد أثر ذلك فيه.

و«إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب»(٢).

قال ابن القيم: «ليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف؛ فإن معاملة الناس بذلك؛ إما أجنبي فتكسب مودته

---

(١) وقد عرف الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٣٧ حسن الخلق فقال: «حسن الخلق أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طليق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة»، وقال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/٣٠٨: «حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل»، ثم شرع يشرحها.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٣٧.

ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته، وإما عدو ومبغض فتطفىء بلطفك جمرته، وتُستكفَى شره، ويكون احتمالك لمضض لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من الغلظة عليه»(١).

وقد كان للنبي ﷺ في هذا المقام القدمُ السابقة، والقِدْح المعلى؛ فقد كان محمود الشمائل، أغرَّ المكارم، جمَّ المبرات، سهل الأخلاق، حسن المعاملة، كريم الخليقة؛ لم يُرَ أكرمُ منه أخلاقاً، فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه(٢)، وزكاه ـ سبحانه ـ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

قال أنس: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقاً»(٣).

وقال سعد بن هشام لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن(٤).

«تعني: أنَّه تأدَّب بآدابه، وتخلَّق بأخلاقه، فما مدحه القرآن، كان فيه رضاه، وما ذمه القرآنُ، كان فيه سخطه»(٥).

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٥١١.

(٢) اشتهرت جملة: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» على أنها حديث، وهي ليست حديثاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٧٥: «المعنى صحيح؛ لكن لا يعرف له إسناد ثابت».

(٣) أخرجه البخاري ح(٦٢٠٣)، ومسلم ح(١٥٣٢).

(٤) أخرجه مسلم ح(٧٤٦).

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/ ٣٧٠.

وفي حديث آخر، سأل أبو عبد الله الجدَلي عائشة رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[(١)].

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لم يكن النبي ﷺ سبّاباً، ولا فحّاشاً، ولا لعّاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: **ما له ترب جبينه**»[(٢)].

وكان ﷺ لشدة حيائه لا يواجه أحداً بما يكره، بل تعرف الكراهة في وجهه، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه، عرفناه في وجهه»[(٣)].

وقد قال الله ـ سبحانه ـ عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي رحمه الله: «الأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من

(١) أخرجه الترمذي ح(٢٠١٦)، وأحمد ٢٥٦/٤٢، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٠٣١)، و(٦٠٤١).
(٣) أخرجه البخاري ح(٦١٠٢)، ومسلم ح(٢٣٢٠).

الرئيس في الدين تنفِّر الناس عن الدين، وتبغِّضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم ﷺ يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله»[١].

وقد بين الرسول ﷺ مقصداً من مقاصد بعثته، فقال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

ويتأكد إعمالُ حسن الخلق مع مَنْ تكثر مخالطتهم، وتطول عشرتهم مثل الأهل والأولاد؛ فمن أراد معرفة أخلاقه، أتكلفٌ هي أم طبيعة، فلينظر إلى أخلاقه عند أهله، فعندهم تظهر حقائق الأخلاق، ويبين التحالم من الحِلم؛ فإن مِن الناس مَن يهون عليه أن يحسن التعامل مع الناس والأصحاب، ولكنه يفشل في إعمال ذلك مع أهله، فهو الضحوك السهل مع الناس، العبوس الشديد مع الأهل، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، فقد كان ﷺ جميل العشرة، دائم

(١) تفسير السعدي ص١٥٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٤/ ٥١٢ ح(٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة، قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/ ٣٣٣: «وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ».

البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، وقد قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيركم خيركم لنسائهم**»[(١)]، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[(٢)].

قال الشوكاني: «في ذلك تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير، وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر، وحسن الخلق، والإحسان، وجلب النفع، ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيراً ما يقع الناس في هذه الورطة؛ فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً، وأشحَّهم نفساً، وأقلهم خيراً، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته، وانبسطت أخلاقه، وجادت نفسه، وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق، زائغ عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة»[(٣)].

والكلام في حسن خلقه ﷺ مع الناس ومع أهله، يطول جداً، والأحاديث فيه وافرة مشتهرة، ولكن المقصود هو الإشارة بأن حسن الخلق منه ﷺ كان سبباً لمحبة الناس له، وقبولهم دعوته، والتفافهم حوله.

---

(١) أخرجه الترمذي ح(١١٦٢)، وأحمد ١٢/ ٣٦٤ ح(٧٤٠٢) من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه الترمذي ح(٣٨٩٥)، من حديث عائشة، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) نيل الأوطار ٦/ ٢٦٠.

وحسن الخلق يؤتي أكله ضعفين لمن عامل الناس به قاصداً ما عند الله والدار الآخرة؛ لا يرجو من الناس جزاءً ولا ثناءً ولا شكوراً؛ فبذلك يعيش مرتاح البال، مطمئن النفس، قليل اللوم على من قصر بحقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخاف الله فيهم، ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب»(٢).

وسيأتي مزيد بيان لهذا المطلب فيما يأتي من مطالب؛ إذ هي تصب في ثَبَج هذا المطلب، وتدور في فلَكه.



(١) مجموع الفتاوى ١/ ٥١.
(٢) مدارج السالكين ١/ ٥٢٣.

المطلب الثاني

معاملته ﷺ الناس على حسَب طبائعهم

لقد قسم الله ـ سبحانه ـ الأخلاق كما قسم الأرزاق(١)؛ فمن الناس من هو فَكِه الأخلاق، ظاهر السماحة، أريحيُّ الطباع، مشرق الجبين.

ومنهم من هو فظ الأخلاق، غليظ الطباع، صعب العريكة، شديد المعاملة؛ كأنما قُدَّ من صخر.

ومنهم من يألف ويؤلف، لذيذ المجلس، حسن اللقاء، فهو ريحانة الأهل، وزينة الأصدقاء.

ومنهم مَنْ لا يألف ولا يؤلف؛ كريه الطلعة، ثقيل الروح، مستهجن الحديث واللقاء.

---

(١) وقد جاء بهذا حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، ولفظه: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم»، وقد أخرجه أحمد ٦/ ١٨٩ ح(٣٦٧٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه الصَّباح بن محمد، قال العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢١٣: «في حديثه وهم، ويرفع الموقوف»، وقال ابن حجر في التقريب (٢٨٩٨): «ضعيف، أفرط فيه ابن حبان»، وقد جاء الحديث موقوفاً على ابن مسعود، أخرجه أبو داود في الزهد رقم (١٤٧)، وهذا هو الصحيح في هذا الحديث أنه لا يصح إلا موقوفاً على عبد الله، كما اختاره الدارقطني في العلل ٥/ ٢٧١، والذهبي في الميزان ٢/ ٣٠٦.

قال ﷺ: «تجدون الناس معادن»(١).

قال القرطبي ـ معلقاً على هذا الحديث ـ: «وجه التمثيل: أن المعادن مشتملة على جواهر مختلفة، منها النفيس، والخسيس، وكلٌّ من المعادن يخرج ما في أصله، وكذلك الناس كلٌّ منهم يظهر عليه ما في أصله»(٢).

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزْن، وبين ذلك»(٣).

وقد تمثل بعض الشعراء بهذا المعنى(٤)، فقال:

النـاسُ كـالأرض ومنـها هُـمُ
مِـنْ خَشِـنِ الطَّبْـعِ ومِـنْ لـيِّـنِ
مـرٌّ تـشكَّى الرِّجل منه الوجى(٥)
وإثْـمِـدٌ يـوضع فـي الأعـينِ

وفي حديث آخر يروى عن النبي ﷺ: «إن منهم البطيء

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣٣٨٣)، ومسلم ح(٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة.
(٢) المفهم ٦/ ٤٧٧.
(٣) أخرجه أبو داود ح(٤٦٩٣)، والترمذي ح(٢٩٥٥)، وأحمد ٣٢/ ٣٥٣ ح(١٩٥٨٢)، كلهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
(٤) البيتان للحصري كما في نفح الطيب ٢/ ١٥٤.
(٥) الوجى: الحفا، وقيل: شدة الحفا. ينظر: لسان العرب ١٥/ ٣٧٨.

الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء»(١).

قال المناوي: «التباين في الناس غالب، واختلافهم في الطبائع ظاهر، ومن رام عيالاً أو إخواناً تتفق أحوالهم كلهم فقد رام محالاً»(٢).

وقد أمر الله نبيه ﷺ في معاملته مع الناس بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال العلامة الشنقيطي: «أي: خذ ما تسهَّل لك من أخلاق الناس، ووجدت منهم طيباً بلا كلفة فخذه، وما جاءك من غير ذلك فاصفح عنه وتجاوزه»(٣).

وقال العلامة السعدي: «الذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو؛ أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي ح(٢١٩١)، وأحمد ١٧/ ٢٢٧ ح(١١١٤٣)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف كما في التقريب (٤٧٣٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٦٢٦.

(٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٤/ ١٧٨٨ ـ ١٧٨٩.

(٤) تفسير السعدي ص٣١٣.

ولقد كان النبي ﷺ يدرك حقيقة التباين في الطبائع؛ فكان يرعى هذا الشأن حق رعاية؛ فتراه يعامل الناس بهذا المقتضى، والسُّنَّة النبوية زاخرةٌ بنماذج من هذا القبيل، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ ـ ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**»، فلما جلس تطلَّق النبي ﷺ في وجهه، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل، قالت عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، متى عهدتِّني فحَّاشاً؟ إن شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاءَ فحشِه**»[(١)]».

ففي هذا الحديث استحسان مداراة حداد الألسنة، غلاظ الأفئدة، ما لم يصل الأمر إلى الإقرار على باطل.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا الحديث أصل في المداراة»[(٢)].

وقال القرطبي: «في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك، من الجور في الحكم، والدعاء إلى

(١) أخرجه البخاري ح(٦٠٣٢)، ومسلم ح(٢٥٩١).
(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٥٤.

البدعة، مع جواز مداراتهم؛ اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله ـ تعالى ـ».

ثم قال القرطبي: «والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة المذمومة المحرمة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته، والرفق في مكالمته، وطلاقة وجهه، ولم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله؛ فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة مع الخلق»[١]. اهـ. بتصرف.

وقال محمد بن الحنفية: «ليس بحكيم، من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد بداً من معاشرته؛ حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً»[٢].

وقد شبَّه أمثال هذا النوع العلامة ابن القيم فقال: (مَنْ مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه، وقوته وضعفه، فمنهم مَنْ مخالطته كالداء العضال، ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضرباً عليك، فإذا فارقك سكن الألم، ومنهم مَنْ مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف

(١) المفهم ٦/ ٥٧٣.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٧٥.

نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه، وفرحه به، فهو يُحْدِث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسكٌ يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها، ولا جرها على الأرض، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته، فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً)[١]. اهـ. بتصرف.

٢ ـ ما جاء في حديث المِسْوَر بنِ مَخْرَمة رضي الله عنه أنه قال: «قَدِمَتْ على النبي ﷺ أقبيةٌ من ديباج، مزررةٌ بالذهب، فقسمها في أناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لمخْرَمة، فلما جاء مَخْرَمة، قال الرسول ﷺ: «**خبأت هذا لك**» أخرجه البخاري[٢] من طريق أيوبَ، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن المسور. وقال أيوب بثوبه، وكان في خلقه شيء، قال الحافظ ابن حجر: «والمعنى أشار أيوب بثوبه ليري الحاضرين كيفية ما فعل النبي ﷺ عند كلامه مع مَخْرَمة، ولفظ القول يطلق ويراد به الفعل؛ وإنما قيل في مخرمة ما قيل؛ لما كان في خلقه من الشدة، فكان لذلك في لسانه بذاءة»[٣]».

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٨٢٢ ـ ٨٢٣.
(٢) صحيح البخاري ح(٣١٢٧).
(٣) فتح الباري ١٠/ ٥٢٩.

فتأمل كيف عزل النبي ﷺ قباءً مزرراً بالذهب لمخرمة؛ ليتألفه لما في خلقه من الشدة.

فمن ابتلي بمخالطة هذا النوع من الناس فليتألفه بمثل هذا الهدي النبوي؛ فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.

٣ ـ ما جاء في حديث جابر بن سليم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة له، وقد وقع هدبها على قدميه، فقلت: أيكم محمد، أو رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه، فقلت: يا رسول الله، إني من أهل البادية، وفِيَّ جفاؤهم فأوصني، فقال: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك، فلا تشتمه بما تعلم فيه؛ فإنه يكون لك أجره، وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزار؛ فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، ولا تسبن أحداً**» قال جابر: «فما سببت بعده أحداً، ولا شاة، ولا بعيراً»[(١)].

(١) أخرجه أحمد ٣٤/٢٣٨ ح(٢٠٦٣٥) من طريق عبيدة الهجيمي، عن أبي تميمة الهجيمي، عن جابر بن سليم، وفيه عبيدة الهجيمي، مجهول، كما في التقريب (٤٤١٤)، لكن تابعه سلام بن مسكين، عن عقيل بن طلحة، عن جابر، عند أحمد ٣٤/٢٣٦ ح(٢٠٦٣٣) بإسناد صحيح.

فقد أوصى رسول الله ﷺ هذا الصحابي وصايا تليق بطبعه الجافي.

وهذا الذي ينبغي للمسلم أن يراعي طبائع المدعوين، ويكلم كل أحد بما يليق بطبعه.

ومن فروق الطبائع التي ينبغي أن تراعى اختلاف طبيعة المرأة عن الرجل، فللرجل طبيعته القوية المهيأة للعمل والقوامة، وللمرأة طبيعتها اللينة التي تليق بالأمومة والرعاية؛ ولذا فقد جاء الإرشاد من النبي ﷺ بمراعاة طبيعتهن، ومما ورد عنه في ذلك:

١ ـ ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى على أزواجه، وسواق يسوق بهن يقال له: أنجشة فقال: «ويحك يا أنجشة، رويداً سوقك بالقوارير»[1].

قال النووي: «قال العلماء: سمَّى النساء قوارير؛ لضعف عزائمهن؛ تشبيهاً بقارورة الزجاج؛ لضعفها، وإسراع الانكسار إليها»[2].

٢ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المرأة خلقت من ضِلَع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها

---

(١) أخرجه البخاري ح(٦١٤٩)، ومسلم ح(٢٣٢٣).

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥/ ٨١.

استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»[١].

وفي حديث سمرة رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضِلَع، وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها، فدارها تعش بها»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس، وتألف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها، ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها»[٣].

وقال الحافظ ـ أيضاً ـ: «لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة»[٤].

٣ ـ ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لولا حواء[٥]

(١) أخرجه البخاري ح(٣٣٣١)، ومسلم ح(١٤٦٨).
(٢) أخرجه أحمد ٣٣/ ٢٨٣، وإسناده صحيح.
(٣) فتح الباري ٩/ ٢٥٤.
(٤) المرجع السابق.
(٥) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٦٨: «فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة، حتى وقع في ذلك، فمعنى =

لم تخن أنثى زوجها»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه، أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكنَّ بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن، ويجاهدن هواهن»(٢).

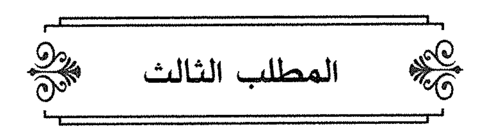
فمن رعى هذه الوصايا النبوية، فحقيق به أن يسعد مع أهله، وتنزل الطمأنينة في بيته، ومن تنكبها فسوف تساوره الهموم، ويحل بساحته القلق، ويكون هجِّيراه مع أهله التشكي والضجر.



= خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها».

(١) أخرجه البخاري ح(٦١٤٩)، ومسلم ح(٢٣٢٣).

(٢) الفتح ٦/ ٣٦٨.



المطلب الثالث

معاملته ﷺ الناس على حسَب منازلهم

إنزال الناس منازلهم سبب متين لتقوية آصرة الأُلفة والمودة، وحصن منيعٌ عن الشقاق ورديء الأخلاق؛ فالناس فيهم العالم والجاهل، والملك والسُّوقَة، والسائد والمسود، والوجيه والوضيع، والغني والفقير، فيُعامَل كلٌ حسب منزلته لا وكس ولا شطط.

وهكذا كان النبي ﷺ يصنع، فقد جاء فيما يروى عنه قولُه: «**أنزلوا الناس منازلهم**»(١).

قال القرطبي: «ومعنى هذا الحديث: الحض على مراعاة مقادير الناس، ومراتبهم، ومناصبهم، فيعامل كل واحد منهم بما يليق بحاله، وبما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف والمرتبة؛ فإن الله تعالى قد رتب عبيده وخلقه، وأعطى كل ذي حق حقه»(٢).

قال العلامة السعدي: «الناس قسمان: قسم لهم حق

---

(١) أخرجه أبو داود ح(٤٨٤٢) من طريق ميمون بن أبي شبيب عن عائشة رضي الله عنها، وفيه انقطاع، قال أبو داود: «ميمون لم يدرك عائشة».

(٢) المفهم ١/ ١٢٧.

خاص؛ كالوالدين والأولاد والأقارب، والجيران والأصحاب والعلماء، والمحسنين بحسب إحسانهم العام والخاص، فهذا القسم تنزيلهم منازلهم: القيام بحقوقهم المعروفة شرعاً وعرفاً، من البر والصلة والإحسان والتوقير والوفاء والمواساة، وجميع ما لهم من الحقوق، فهؤلاء يميزون عن غيرهم بهذه الحقوق الخاصة، وقسم ليس لهم مزية اختصاص بحق خاص، وإنما لهم حق الإسلام، وحق الإنسانية، فهؤلاء حقهم المشترك: أن تمنع عنهم الأذى والضرر بقول أو فعل، وأن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكره لها من الشر، بل يجب منع الأذى عن جميع نوع الإنسان، وإيصال ما تقدر عليه لهم من الإحسان»[1].

ولقد كان من هدي نبينا ﷺ أن ينزل الناس منازلهم، فمن أحواله في ذلك:

١ ـ مراعاته ﷺ لأهل الوجاهة والقدر فيهم، ومما ورد عنه ﷺ في ذلك:

ـ قوله ﷺ: **«إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»**[2].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار ص٦١.

(٢) أخرجه أبو داود ح(٤٨٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وحسنه ابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ٢٤٠.

- حين دخل مكة فاتحاً، فجاء أبو سفيان فأسلم، فأراد الرسول ﷺ تثبيت إسلامه، فقال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»(١).

فانظر إلى ملكة الحكمة التي أوتيها الرسول ﷺ، فأبو سفيان من سادات قريش، مثله يحب الفخر، وقد ورد في سنن أبي داود(٢)، أن العباس رضي الله عنه قال: «يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو جعلت له شيئاً» فراعى الرسول ﷺ مشاعره بهذه الجملة.

- حين نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم، أو خيركم**»(٣).

قال النووي: «فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا»(٤).

- تقديمه ﷺ أولئك الرجال السادة في أقوامهم، الذين كانوا حدثاء عهد بكفر؛ فكان يعطيهم ما لا يعطي غيرهم(٥).

---

(١) أخرجه مسلم ح(١٧٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) سنن أبي داود ح(٣٠٢١).

(٣) أخرجه البخاري ح(٣٠٤٣)، ومسلم ح(١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) شرح مسلم ١٢/٩٣.

(٥) ينظر: صحيح البخاري ح(٣٣٤٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... كان النبي ﷺ يتألف قوماً، ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم...»[1].

ـ ما جاء في كتابه ﷺ الذي أرسله إلى هرقل: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمدٍ، عبدِ الله ورسولِهِ إلى هرقلَ عظيمِ الروم...**»[2].

فتأمل قوله ﷺ: «**عظيم الروم**».

٢ ـ مراعاته ﷺ لكبار السن، وتقديمهم على غيرهم، فللكبير حق لا بد أن يبذل، حتى ولو كان عامِّياً، وقد ورد عن النبي ﷺ نصوص تدل على مراعاة هذا الحق، فمنها:

ـ قوله ﷺ: «**يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسُّنَّة، فإن كانوا في السُّنَّة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سناً...**»[3].

ـ قوله ﷺ: «**أراني في المنام أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل**

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٠٦.
(٢) أخرجه البخاري ح(٧)، ومسلم ح(١٧٧٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم ح(٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لي: كبِّر، فدفعته إلى الأكبر منهما»[١].

- قوله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»[٢].

- قوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم»[٣].

- قوله ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير»[٤].

- حين دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته؛ حتى أكون أنا آتيه فيه»[٥].

وإن من نقص المروءة أن يستنكف الصغير عند لقاء الكبير، فلا يظهر له حفاوة، ولا يرعى له حقاً.

٣ - حفظه ﷺ لحق صاحب المعروف، فلصاحب المعروف منزلة لا بد أن ترعى، وحق لا بد أن يوفى.

وإن من بلادة الأخلاق، ولؤم الطباع ألا ترى لصاحب المعروف حقاً، فتعامله كما تعامل سائر الناس.

---

(١) أخرجه مسلم ح(٢٢٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود ح(٤٩٤٣)، والترمذي ح(١٩٢٠) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وقال: «حديث حسن صحيح».
(٣) سبق تخريجه ص٣٢.
(٤) أخرجه البخاري ح(٦٢٣١)، ومسلم ح(٢١٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أخرجه أحمد ٥١٨/٤٤ من حديث أسماء بنت أبي بكر، وإسناده حسن.

قال مقاتل وعمرو بن مرة: «ترك المكافأة من التطفيف»[١].

وقد رعى ﷺ حق صاحب المعروف في قوله، وفعله.

أما قوله فقد قال ﷺ: **«من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوا[٢] به فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**[٣].

وأما فعله فأمثلته كثيرة، لعل من أجلاها ما جاء في قصة أسارى بدر؛ حيث قال ﷺ: **«لو كان المُطعم بن عدي حياً ثم**

---

(١) الآداب الشرعية ١/ ٤٠٥.

(٢) قال في عون المعبود ٥/ ٦١: «الأصل تكافئون، فسقط النون بلا ناصب وجازم، إما تخفيفاً، أو سهواً من الناسخين، كذا ذكره الطيبي، والمعتمد الأول؛ لأن الحديث على الحفظ معول، ونظيره: كما تكونوا يول عليكم على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة».
قلت: الاستدلال بحديث: **«كما تكونوا يول عليكم»** لا ينفع لأن الحديث ضعيف، كما في السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٤٩٠، ولكن يستشهد له بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»** أخرجه مسلم ح(٥٤)، وبما أخرجه مسلم - أيضاً - ح(٢٨٧٤) من قول عمر رضي الله عنه في قتلى بدر «كيف يسمعوا؟ وأنى يجيبوا وقد جيَّفوا»، قال النووي في شرح مسلم ١٧/ ٢٠٧: «هي لغة صحيحة، وإن كانت قليلة الاستعمال».
ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٢٠٧، وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ٢٠٠.

(٣) أخرجه أبو داود ح(١٦٧٢)، والنسائي ح(٢٥٦٧) من حديث ابن عمر، وإسناده صحيح.

كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[١]؛ وذلك لأن النبي ﷺ دخل في جوار المطعم عندما رجع من الطائف فأجاره ودخل مكة[٢].

فالشفاعة في هؤلاء مقبولة لو كانت من المطعم؛ إكراماً له واحتراماً لما له من اليد عند النبي ﷺ.

وإن من حكمة المرء، وحسن تدبيره أن يقبل شفاعة فلان؛ لما له من الدَّالَة عليه، إذا كانت الشفاعة لا تضر أحداً؛ فهذا من إنزاله منزلته.

٤ ـ تفضيله ﷺ لمن يستحق الفضل من الناس، وثناؤه على من هو أهل للثناء منهم، وهذا باب وافرٌ واسعٌ في السُّنَّة، وقد جمعت فيه كتب المناقب.

ومما ورد في ذلك قوله ﷺ: «**إن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر**»[٣].

وقوله ﷺ: «**كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم.
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٢٤.
(٣) أخرجه البخاري ح(٤٦٦)، ومسلم ح(٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٤) أخرجه مسلم ح(١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

قال النووي: «فيه استحباب الثناء على الشجعان، وسائر أهل الفضائل، لاسيما عند صنيعهم الجميل؛ لما فيه من الترغيب لهم ولغيرهم في الإكثار من ذلك الجميل، وهذا كله في حق من يؤمن الفتنة عليه»(١).

وقوله ﷺ: **«خير دور الأنصار بنو النجار»**(٢).

قال ابن التين: «فيه دليل على جواز المفاضلة بين الناس لمن يكون عالماً بأحوالهم؛ لينبه على فضل الفاضل، ومن لا يلحق بدرجته في الفضل، فيمتثل أمره بتنزيل الناس منازلهم، وليس ذلك بغيبة»(٣).

فما أجمل الثناء الصادق يشيع بين الناس والأقران؛ فهو يؤكد صدق الصلة، ويدفع سوء الظن، ويذهب رجز الشيطان.

٥ ـ تَعرُّفُه ﷺ على أسماء من يَفِدُونَ إليه، أو من يلتقيهم، ومما ورد عنه في ذلك أن وفد عبد القيس لما أتوه ﷺ قال: **«من القوم أو من الوفد؟»** قالوا: ربيعة. قال: **«مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»**(٤).

ومن ذلك أن النبي ﷺ لقى ركباً بالروحاء فقال: «من

---

(١) شرح مسلم ١٢/ ١٨٢.
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٠٥٣)، ومسلم ح(٢٥١١) من حديث أبي أسيد الساعدي.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٧١.
(٤) أخرجه البخاري ح(٥٣)، ومسلم ح(١٢٥) من حديث ابن عباس.

القوم؟». قالوا: المسلمون. فقالوا من أنت؟ قال: «رسول الله»[١].

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ جاء فاستلم الحجر، وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام ـ قال ـ فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليك ورحمة الله». ثم قال: «من أنت». قال: قلت: من غفار[٢].

قال النووي: «يستحب لمن ورد عليه زائرون أو ضيفان ونحوهم أن يسأل عنهم؛ لينزلهم منازلهم»[٣].

فمعرفة أسماء الزائرين تستميل قلوبهم، وترسخ مودتهم.

أما أن يزورك الرجل المرة بعد الأخرى، ثم لا تسأل عن اسمه، فهذا جفاء لا يليق بمن ينشد المكارم.



(١) أخرجه مسلم ح(٣٣١٧) من حديث ابن عباس.
(٢) أخرجه مسلم ح(٦٥١٣) من حديث أبي ذر.
(٣) شرح مسلم ٨/ ١٧١.

المطلب الرابع

معاملته ﷺ الناس على حسب عقولهم(١)

كرَّم الله ﷻ بني آدم بالعقل، وميَّز بين عقولهم؛ فلم يجعلها على درجة واحدة؛ بل فارق بينها ولم يساوِ، فبعضهم أكمل عقلاً من بعض، فالصغير ليس كالكبير، وذو العقل ليس كفاقده، وحسن الإدراك ليس كناقصه.

وإن لكل أحد من هؤلاء معاملة تليق به، وكلاماً يخاطب به، قال السعدي: «فلا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال، وتنشرح له صدورهم»(٢).

وقد رعى الرسول ﷺ في هديه هذا الجانب، ومما ورد عنه في ذلك ما يلي:

١ ـ أنه ﷺ كان يخص بعض أصحابه بالحديث؛ خشية أن تضيق مدارك بعض الناس عند سماعه، فتقع فيهم الفتنة،

---

(١) **فائدة**: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٣٨ عن حديث: «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**»، فقال: «هذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم في الرواية، وليس هو في شيء من كتبهم».

(٢) تفسير السعدي ص٣١٣.

ومن ذلك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان رديفه ﷺ على الرحل، فقال الرسول ﷺ: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**» قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذاً يتكلوا**»[(١)].

وقد بوب عليه البخاري، فقال: «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم؛ كراهية أن لا يفهموا»[(٢)].

قال المهلب: «فيه أنه يجب أن يخص بالعلم قومٌ؛ لما فيهم من الضبط، وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة، ومن يخاف عليه الترخص، والاتكال؛ لقصير فهمه»[(٣)].

وقال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[(٤)].

وقال عبد الله بن مسعود: «ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري ح(١٢٨).
(٢) صحيح البخاري ١/ ٨٢.
(٣) شرح ابن بطال ١/ ٢٠٧.
(٤) أخرجه البخاري رقم (١٢٧).
(٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٠.

وإن من عدم الحكمة ألا يراعي المتحدث مدارك الحاضرين؛ فيكون كمن:

رام نفعاً فضر من غير قصد
ومن البر ما يكون عقوقاً[١]

٢ ـ أنه ﷺ كان يرخص في اللعب واللهو للصغار ما لا يرخص للكبار، ومما ورد في ذلك:

ـ ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات[٢] عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي...»[٣].

وقد بوب عليه ابن حبان فقال: «ذكر جواز لَعب المرأة ـ إذا كان لها زوج وهي غير مدركة ـ باللعب»، وبوب ـ أيضاً ـ: «ذكر الإباحة لصغار النساء اللَّعب باللُّعب وإن كان لها صور»[٤].

ـ ما روته عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان، ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله ﷺ عنه، وقال:

---

(١) ديوان الشافعي ص٧٩.
(٢) البنات: هي التماثيل والصور التي يلعب بها الصبايا، أضيفت اللُّعب للبنات؛ لأنهن هن اللاتي يصنعنها.
ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/١٢٠٣، مشارق الأنوار ١/٩١، المفهم ٦/٣٢٣، النهاية ١/١٥٨، والصبايا: جمع صبية، مثل مطايا ومطية، ينظر: مختار الصحاح ص٣٧٥.
(٣) أخرجه البخاري ح(٦١٣٠)، ومسلم ح(٢٤٤٠).
(٤) صحيح ابن حبان ١٣/١٧٣ ـ ١٧٤.

«دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد». وقالت: رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربة[١] الحديثة السن[٢].

قال ابن بطال: «فيه الصبر على أخلاق النساء والصبيان في غير المُحَرَّمِ من اللهو، وإن كان الصابر كارهاً لما يحبه أهله»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنفوس الضعيفة كنفوس الصبيان والنساء قد لا تشتغل إذا تَرَكَتْهُ ـ أي: اللهو الذي لا فائدة منه ـ بما هو خيرٌ منه[٤] لها، بل قد تشتغل بما هو شرٌ منه، أو بما يكون التقرب الى الله بتركه، فيكون تمكينها من ذلك من باب الإحسان إليها، والصدقة عليها، كإطعامها وإسقائها... ومحبة النفوس للباطل نقصٌ لكن ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما به يدخلون الجنة ـ لم يحرم عليهم ما لا يمنعهم من دخولها»[٥].

وقال العلامة ابن القيم: «ولما كانت النفوس الضعيفة

(١) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٨٥: «بفتح العين، وكسر الراء والباء الموحدة؛ ومعناها: المشتهية للعب المحبة له».
(٢) أخرجه البخاري ح(٥٢٣٦) و(٣٥٢٦)، ومسلم ح(٢١٠٠).
(٣) شرح ابن بطال ٧/٢٩٨.
(٤) وقع في المطبوع: «منها»، والأقرب: «منه»؛ اتساقاً في عود الضمائر.
(٥) الاستقامة ٢/١٥٣ ـ ١٥٦.

كنفوس النساء والصبيان ـ لا تنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئاً من لذة اللهو واللعب؛ بحيث لو فطمت عنه كل الفطام طلبت ما هو شر لها منه ـ رخص لها من ذلك فيما لم يرخص فيه لغيرها»(١).

٣ ـ أنه ﷺ كان لا يستنكف من مخالطة الصغار، ومن في عقله شيء، وقضاء شيء من وقته معهم، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «**يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك**» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها(٢).

وقد روى أبو التياح عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه فطيماً ـ وكان إذا جاء قال: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**» نُغَر(٣) كان يلعب به(٤).

قال ابن القاص: «فيه دليل على أن للعاقل أن يعاشر الناس على حسب عقولهم، ولا يحمل الناس كلهم على

---

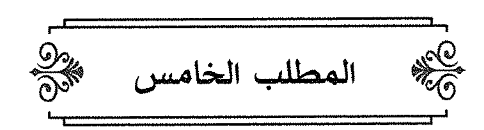
(١) روضة المحبين ص١٦٢.
(٢) أخرجه مسلم ح(٢٣٢٦).
(٣) هو طائرٌ يُشْبِه العُصْفور، أحمر المِنْقار، يُصَّغر على نُغَير، ويُجمع على: نِغْرَان، ينظر: النهاية ٥/ ١٩٠.
(٤) أخرجه البخاري ح(٦٢٠٣)، ومسلم ح(٢١٥٠).

عقله»[١].

وإن من حسن الأسوة بالنبي ﷺ أنك إذا رأيت الطفل الصغير أو ناقص العقل أن تلين له، وتخاطبه بما ينشرح له صدره.



(١) جزء في فوائد حديث أبي عمير ص٣٠.



المطلب الخامس

معاملته ﷺ الناس على ظواهرهم

الأصل في معاملة الناس أن تكون مبنية على الظواهر؛ دون بحث عما تكنه صدورهم.

وإن من الناس مَنْ تجده شكاكاً في الناس، مرتاباً في تعاملهم معه، تتجاذبه فيهم الظنون، وتتوارد عليه الرِّيَب، فلسان حاله: فلان قد رابني أمره، ولست على يقين من فلان، وإني لفي مرية من فلان.

بل ربما بلغت به الحال إلى أن يصل به الريب في أولاده، فيتهمَ زوجته بما هي منه بَراءٌ خَلاءٌ، فيهدمَ علاقاتٍ متينةً بأوهام وظنون، وصدق أبو الطيب إذ يقول:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وَصَدَّقَ ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عُداته
وأصبح في ليل من الشك مظلم[1]

فلا يزال هذا المسكين يعاني في هذا الأمر صعَداً،

---

(١) ديوان المتنبي، شرح اليازجي المسمى العرف الطيب ٢/ ٣٢٤.

ويلاقي منه رهقاً، ويقاسي منه نصَباً، حتى يخلدَ إلى العزلة والانزواء، فيتفرقَ شمله، وينتثرَ نظمه.

وإن في هذا الفعل مجافاةً لهدي النبي ﷺ، فإن المتأمل لهديه في ذلك يرى بجلاء أن النبي ﷺ كان يتعامل مع الناس على ظواهرهم، دون إيغال في النيات، أو تحسس في المقاصد، فمن ذلك:

١ ـ ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ فصبَّحنا الحُرُقاتِ من جهينةَ، فأدركت رجلاً، فقال: لا إلٰه إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أقال: لا إلٰه إلا الله وقتلته**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها أم لا**» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[١].

قال النووي: «معناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر، وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان»[٢].

٢ ـ ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة ذلك الرجل الذي قال للرسول ﷺ: اتق الله ـ لما قسم الرسول ﷺ تلك

(١) أخرجه البخاري ح(٤٢٦٩)، ومسلم ح(٦٩).
(٢) شرح صحيح مسلم ٢/ ١٠٤.

الذهيبة التي بعث بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن على المؤلفة قلوبهم ـ فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه: «يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال الرسول ﷺ: «**إني لم أُومر أن أنقِّب عن قلوب الناس، ولا أشقَّ بطونهم**»[(١)]».

قال النووي: «معناه أني أمرت بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر»[(٢)].

٣ ـ قبوله ﷺ لأعذار المخلفين في غزوة تبوك، يقول كعب بن مالك: «جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «فيها إجراء الأحكام على الظاهر، ووكول السرائر إلى الله تعالى»[(٤)].

٤ ـ معاملته ﷺ المنافقين معاملة المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المنافقين الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٣٥١)، ومسلم ح(١٠٦٤).
(٢) شرح صحيح مسلم ٧/ ١٦٣.
(٣) أخرجه البخاري ح(٦٠٦٤)، ومسلم ح(٦٧٠١).
(٤) فتح الباري ٨/ ١٢٤.

﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون، ويحجون، ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم، كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ، ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر، لا في مناكحتهم، ولا موارثتهم، ولا نحو ذلك، بل لما مات عبد الله بن أبي بن سلول ـ وهو من أشهر الناس بالنفاق ـ ورثه ابنه عبد الله، وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين»[(١)].

٥ ـ تحذيره ﷺ من الظن، فقال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه، فيعتمد عليه، ويجعله أصلاً، ويجزم به، فيكون الجازم به كاذباً؛ وإنما صار أشد من الكذب؛ لأن الكذب في أصله مستقبح مستغنى عن ذمه، بخلاف هذا، فإن صاحبه بزعمه مستندٌ إلى شيءٍ، فوصف بكونه أشد الكذب؛ مبالغة في ذمه، والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض؛ لخفائه غالباً، ووضوح الكذب المحض»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢١٠.
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٧٨٠)، ومسلم ح(٧١٦) من حديث أبي هريرة.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٨٢.

وقال الزمخشري: «الذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة، وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأُونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الرِّيَب والمجاهرة بالخبائث»[(١)].

وقال ﷺ: **«إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم»**[(٢)].

قال ابن الأثير: «أي: إذا اتهمهم، وجاهرهم بسوء الظن فيهم أداهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ففسدوا»[(٣)].

فكل هذه الأدلة تبين بجلاء، بأن النبي ﷺ كان يعامل الناس بما يظهر منهم، ويكل سرائرهم إلى الله؛ وهذا الفعل كفيلٌ لمن عمل به أن تقوى صِلاته، وتطمئن نفسه، وتنجلي عنه مزعجات التفكير، ودوامات القلق.



(١) الكشاف ٤/ ٣٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود ح(٤٨٩١) من حديث جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمرو بن الأسود، والمقدام بن معديكرب، وأبي أمامة، وإسناده حسن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٨٦.

المبحث الثاني

هديه ﷺ في التعامل مع الخاطئين[1] عليه

وفيه تمهيد، وستة مطالب:

تمهيد: لزوم الخطأ للإنسان.

المطلب الأول: تغافله ﷺ عن الأخطاء.

المطلب الثاني: اعتذاره ﷺ وقبوله أعذار الخاطئين.

المطلب الثالث: حسن ظنه ﷺ بمن نسب إليه الخطأ.

المطلب الرابع: إعراضه ﷺ عن الجاهلين.

المطلب الخامس: عفوه ﷺ عن الخاطئين.

المطلب السادس: إحسانه ﷺ إلى الخاطئين.

---

(١) لفظ الخاطئ أدق في الاستعمال هنا من المخطئ؛ إذ المخطئ: يستعمل فيمن سلك سبيل الخَطَأ عامداً أو غير عامد، والخاطئ مخصوص بالقاصد للذّنب، والمرتكب له عن عمد؛ وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾، والخاطئ بهذا المعنى هو الذي أقصده في هذا المبحث، ينظر: العباب الزاخر للصغاني ص١٤، ولسان العرب ١/ ٦٥.

تمهيد

لزوم الخطأ للإنسان

الخطأ من طبيعة الإنسان، ولا يسلم منه إلا من عصمه الله من أنبيائه ورسله، وقد جاء في الحديث: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(١).

ولقد أحسن ابن دريد حين قال:

إذا تصفحت أمور النّاس لم
تُلفِ امرءاً حاز الكمال فاكتفى
من لك بالمهذب النّدب الذي
لا يجد العيب إليه مختطا

(١) أخرجه الترمذي ح(٢٤٩٩)، وابن ماجه ح(٤٢٥١) من طريق علي بن مسعدة، عن قتادة، عن أنس به، قال الإمام أحمد في المنتخب من العلل للخلال ص٧٢: «هذا حديث منكر»، وقال الترمذي عقب تخريجه: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن مسعدة عن قتادة»، وقال ابن حبان في ترجمة علي بن مسعدة في المجروحين ٢/١١١: «كان ممن يخطيء على قلة روايته، وينفرد بما لا يتابع عليه، فاستحق ترك الاحتجاج به بما لا يوافق الثقات من الأخبار»، ثم روى الحديث المذكور، وقال أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى ٤/٨١ بعد أن رواه من طريقه: «هذا حديث منكر لا يتابع عليه علي بن مسعدة، وله من هذا الضرب أحاديث عن قتادة رواها عنه الثقات».

كم من أخ مسخوطة أخلاقه
أصفيته الودّ لخلق مرتضى[١]

و«لكل الناس نصيب من النقص، ومقدار من الذنوب، وإنما يتفاضلون بكثرة المحاسن، وقلة المساوىء، فأما الاشتمال على جميع المحاسن، والسلامة من جميع المساوىء، دقيقها وجليلها، ظاهرها وخفيها، فهذا لا يعرف فيهم»[٢].

ومن تطلب المثالية والكمال فيمن يريد مخالطته، سواء كان زوجة، أو ابناً، أو صديقاً، فقد رام محالاً، وطلب ممتنعاً، ومبتغي ما لا يكون مَكْدودٌ مُعَنّى.

ومن ركب هذا المسلك فلن يبقى له إلا نفسه التي بين جنبيه، بل ربما لقَسَها[٣]، فلم تسلم له.

والذي ينبغي للعاقل أن يعامل عَشيرَه معاملةً نابعةً عن معرفةٍ بطبيعة البشر، التي يعتريها الجهل والخطأ والنسيان.

وانظر إلى فعل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهو من البدريين، الذين قال الله فيهم: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** ـ حيث أرسل إلى كفار قريش كتاباً يخبرهم فيه بعزم

(١) جواهر الأدب للهاشمي ٢/ ٢١.

(٢) ينظر: مجموع الرسائل للجاحظ ص٢٠١.

(٣) أي: عابها، ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢٦٢، تاج العروس ١٦/ ٤٨٢.

الرسول ﷺ وأصحابه في التوجه إلى مكة لفتحها، فأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾... الآية [الممتحنة: ١](١).

قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد، أن المؤمن ولو بلغ بالصلاح أن يقطع له بالجنة لا يعصم من الوقوع في الذنب؛ لأن حاطباً دخل فيمن أوجب الله لهم الجنة، ووقع منه ما وقع»(٢).

وتأمل في جواب الإمام أحمد رحمه الله لما قال له راويته مهنا: كان غُنْدَر(٣) يغلط؟ قال: «أليس هو من الناس؟!»(٤).

وأمعن النظر في قول شيخ الإسلام ابن تيمية هذا:

يقول رحمه الله: «وليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٨٩٠)، ومسلم ح(٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣١٠.

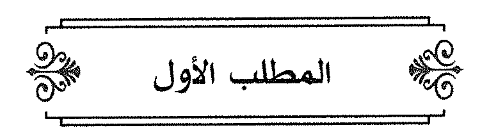
(٣) هو أحد رواة الحديث، واسمه محمد بن جعفر، من شيوخ الإمام أحمد.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٤١.

(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٦٦ ـ ٦٧.

فعلى المسلم أن يوطن نفسه على جهل الناس عليه، وليتعامل مع جهلهم بحسب ما جاء به الهدي النبوي، وفيما يلي من الصفحات تجلية لهذا الهدي.





المطلب الأول

تغافله ﷺ عن الأخطاء

يحسن بالنابه الفطن أن يكون ذا أناة، فلا يعجل بالمحاسبة على كل خطأ في حقه؛ فإنه إذا عاتب على كل هفوة، وحاسب على كل جفوة، أوشك أن يعيش وحيداً، ولا يسلم له الدهرَ صاحب، كما قال بشار بن برد:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً
صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبهْ
فعشْ واحداً أو صلْ أخاك فإنهُ
مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبهْ
إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى
ظمئتَ وأيُّ النَّاس تصفو مشاربهْ[(١)]

بل عليه أن يسلك مسلك التغافل، فهو سبيل لعلاج كثير من الأخطاء.

ثم إن التغافل والتغاضي مسلك الأفاضل والأكابر؛ فهم لا يستقصون، ولا ينقِّرون، بل يتغاضون، ويعرضون.

(١) ديوان بشار بن برد ١/ ٣٠٩.

ولقد كان نبينا ﷺ يتمثل هذا الأمر على أحسن وجوهه؛ وسنَّته ﷺ حافلة بالأمثلة التي تسير على هذا الغرار؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال الرسول ﷺ: «**مهلاً يا عائشة؛ فإن الله يحب الرفق في الأمر كله**» فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»[(١)]».

قال النووي: «في هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين، إذا لم يترتب عليه مفسدة»[(٢)].

فإذا كان النبي ﷺ يأخذ بمسلك التغافل في مثل هؤلاء الكفار، فإنه يتأكد على المسلم أن يتغافل عما يجري من أخيه المسلم من الأخطاء المعتادة، فالكمال عزيز، ولن تجد أحداً إلا وفيه صفاء وكدر؛ فلا ترجُ شيئاً خالصاً نفعه، فانهل من صفو صاحبك، وتعامَ عن كدره، كأنك ما سمعتَ ولا رأيتَ.

وما أجمل قول أبي تمام حين قال:

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي[(٣)]

وأجاد دِعْبل حين قال:

---

(١) أخرجه البخاري ح(٦٠٢٤)، ومسلم ح(٢١٦٥).
(٢) شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٤٧.
(٣) شرح ديوان أبي تمام ١/ ٥٦.

تـخَــالُ أحــيــانــاً بــه غــفــلــةً
مــن كــرم الــنــفــس ومــا أعــلــمــه(١)!

قال الشافعي: «الكيس العاقل؛ هو الفطن المتغافل»(٢).

وقال عثمان بن زائدة، قلت للإمام أحمد: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فقال: «العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل»(٣).

وقال أبو زرعة العراقي: «ومن كلام بعضهم: عظموا مقاديركم بالتغافل، وهذا الكلام مما كان والدي رَحِمَهُ اللَّهُ يؤدبني به في مبدأ شبابي حين يرى غضبي من كلمات ترد علي»(٤).

فما أجمل الأب في بيته، والمعلم في فصله، والمدير في دائرته، والقاضي في مقطع أحكامه، والرئيس مع رعيته، وكل مسؤول مع من تحت يده، ما أجمل هؤلاء كلَّهم أن يسلكوا هذا الهدي النبوي، فيتحلوا بالإغماض والإعراض والتغافل والتغاضي.

ويتأكد الأخذ بهذا المسلك في حق من تطول عشرته كالزوجة، والخادم، والصاحب السابق بالإحسان، ودونك بعض الأمثلة من الهدي النبوي في ذلك:

---

(١) ديوان دعبل ص٢٧٣.
(٢) الآداب الشرعية ١/ ٣١٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) طرح التثريب ٨/ ٣٩٠.

١ - التغافل عن خطأ الزوجة؛ فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تغضبت يوماً علي امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني. فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ فقالت: نعم. فقلت: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر..»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «فيه الصبر على الزوجات، والإغضاء عن خطابهن، والصفح عما يقع منهن من زلل في حق المرء، دون ما يكون من حق الله تعالى»(٢).

ويتأكد الإغضاء عن خطأ الضرات؛ لاحتدام الغيرة بينهن، ومن هديه ﷺ في ذلك، أنه ﷺ كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك

---

(١) أخرجه البخاري ح(٢٤٦٨)، ومسلم ح(١٤٧٩).
(٢) فتح الباري ٩/ ٢٩١.

المكسورة في بيت التي كسرت[١].

فتأمل كيف أن النبي ﷺ لم يعاتب كاسرة الصحفة، مع وقوع ذلك منها عمداً.

قال الحافظ ابن حجر: «جميع من شرح هذا الحديث قالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة»[٢].

وفي قصة زوجتي النبي ﷺ اللتين تظاهرتا على الرسول ﷺ[٣] يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

ومعنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: لم يعاتبها في الحديث كله، إنما عاتبها في بعض الحديث الذي أفشته، ولم يسرد لها الأخطاء كلها تكرماً[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأةً قط خيراً في الدين من

(١) أخرجه البخاري ح(٥٢٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) فتح الباري ٩/ ٢٩١.
(٣) أخرجه البخاري ح(٤٩١٢)، ومسلم ح(١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) روح المعاني ٢٨/ ١٥٨.

زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سَورة[١] من حد[٢] كانت فيها تسرع منها الفيئة[٣]. قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة في مِرطها[٤]، فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها[٥] حين أنحيت[٦] عليها.

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٥/٢٠٦: «قولها سَورة هي بسين مفتوحة، والسورة: الثوران، وعجلة الغضب».

(٢) قال النووي في شرح مسلم ١٥/٢٠٦: «هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حَد؛ بفتح الحاء بلا هاء، وفي بعضها من حِدة ـ بكسر الحاء، وبالهاء ـ والحِدَّة شدة الخلق وثورانه».

(٣) قال النووي في شرح مسلم ١٥/٢٠٦: «الفيئة، بفتح الفاء وبالهمز: وهي الرجوع؛ أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً، ولا تصر عليه... ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خلق، وسرعة غضب تسرع منها الرجوع».

(٤) قال النووي في شرح مسلم ١٤/٥٧: «المرط بكسر الميم، واسكان الراء: كساء يكون تارة من صوف، وتارة من شعر، أو كتان، أو خز».

(٥) قال النووي في شرح مسلم ١٥/٢٠٦: «لم أنشبها؛ أي: لم أمهلها».

(٦) قال النووي في شرح مسلم ١٥/٢٠٦: «أنحيت؛ أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة، وفي الرواية الثانية لم أنشبها أن أثخنتها، وأثخنتها؛ أي: قمعتها وقهرتها».

قالت: فقال رسول الله ﷺ ـ وتبسم ـ: «**إنها ابنة أبي بكر**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «فيه تنافس الضرائر وتغايرهن على الرجل، وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن، ولا يميل مع بعض على بعض»[(٢)].

٢ ـ التغافل عن الخادم، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «**كل يوم سبعين مرة**»[(٣)].

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفاً قط، ولا قال لي لشيءٍ لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا[(٤)].

وفي رواية: «ولا لامني، فإن لامني بعض أهله قال: «**دعه**»؛ ما قدر فهو كائن، أو ما قضي فهو كائن»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري ح(٢٥٨١)، ومسلم ح(٢٤٤٢).
(٢) فتح الباري ٥/٢٠٨.
(٣) أخرجه أبو داود ح(٥١٦٦)، والترمذي ح(١٩٤٩)، وأحمد ٩/٤٥٣ ح(٥٦٣٥) من طريق عباس الحجري، عن ابن عمر، قال البخاري في التاريخ الكبير ٧/٣: «حديث فيه نظر»، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وقال أبو حاتم في المراسيل ص١٦١ عن عباس الحجري: «لا أعلم سمع من ابن عمر شيئاً».
(٤) أخرجه البخاري ح(٦٠٣٨)، ومسلم ح(٦١٥١).
(٥) أخرجها عبد الرزاق في مصنفه ٩/٤٤٣، ح(١٧٩٤٧).

٣ ـ التغافل عن خطأ الصاحبِ السابقِ بالإحسان، فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**» فسلم، وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه. فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو**(١) **لي صاحبي؟**» مرتين، فما أوذي بعدها(٢).

وفي هذا المعنى يقول أبو فراس الحمداني:

لم أواخذْك بالجفاء لأني
واثق منك بالوداد الصريح
وجميل العدو غير جميل
وقبيح الصديق غير قبيح(٣)

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٦٤٠).
(٢) حذفت النون هنا؛ لأنه مضاف، و«**صاحبي**». مضاف إليه، فصل بينهما بشبه الظرف، وهو الجار والمجرور، والأصل: هل أنتم تاركو صاحبي لي. ينظر: شرح ابن عقيل ٣/ ٨٣.
(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ص٧٣.

وقال الجاحظ: «لا تكونن لشيءٍ مما في يدك أشد ضناً، ولا عليه أشد حدباً، منك بالأخ الذي قد بلوته في السراء والضراء، فعرفت مذاهبه وخبرت شيِمَه، وصح لك غيبه، وسلمت لك ناحيته؛ فإنما هو شقيق رُوْحك، وباب الرَّوْح إلى حياتك، ومستمد رأيك، وتوأم عقلك، ولست منتفعاً بعيشٍ مع الوحدة، ولا بد من المؤانسة، وكثرة الاستبدال تهجم بصاحبها على المكروه، فإذا صفا لك أخٌ فكن به أشد ضناً منك بنفائس أموالك، ثم لا يزهدنك فيه أن ترى منه خلقاً أو خلقين تكرههما؛ فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد، فكيف بنفس غيرك! وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره، وقد قالت الحكماء: من لك بأخيك كله، وأي الرجال المهذب»(١).

كما يتأكد التغافل عن ذوي المدارك القاصرة؛ كالصبيان الذين لا يعقلون، أو الذين لا يستوعبون الملامة؛ فقد كان النبي ﷺ يسلك هذا الأمر، ومن مواقفه في ذلك:

١ ـ أنه ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم، فأتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله(٢).

(١) الرسائل ص١٤٦ ـ ١٤٧.
(٢) أخرجه مسلم ح(٢٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولم ينقل عن النبي ﷺ في هذا الموطن ما يدل على الملامة أو السآمة؛ بل إنه ﷺ عاتب من يلوم الصبيان في مثل هذه الحال، تقول لبابة أم الفضل رضي الله عنها: ولدت فاطمة حسناً، فأرضعته بلبن قُثَم، وأتيت به النبي ﷺ يوماً أزوره، فأخذه النبي ﷺ، فوضعه على صدره، فبال على صدره، فأصاب البول إزاره، فزخخت[1] بيدي على كتفيه، فقال: «**أوجعت ابني أصلحك الله**» أو قال: «**رحمك الله**»[2].

فمن الخطأ أن تعاقب من لا يدرك العقوبة، أو أن تعاتب من ليس أهلاً للعتاب.

وإن من قصور الحلم أن يسارع بعضهم في مثل هذه الأحوال، فيرمي ابنه بأقسى الدعوات، وشديد العبارات.

٢ ـ ما رواه عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها قال أبي: فرفعت رأسي، وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ، وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. قال:

---

(١) أي: دفعت بيدها بين كتفيه. ينظر: لسان العرب ٣/ ٢٠.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤/ ٤٤٩ ح(٢٦٨٧٨)، وإسناده صحيح.

«كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[١].

فالنبي ﷺ في أعظم عبادة، والناس خلفه ينتظرونه أن يرفع من السجود، ومع ذلك احتمل سوء تصرف هذا الصبي؛ وراعاه حتى قضى حاجته؛ ولم يعاتبه أو يوبخه؛ لأن مثله لم يستوعب الملامة بعد، فليتعلم منه أولئك الناس الذين بمجرد دخول أحد أطفالهم عليهم في المجلس عند ضيوفهم، تنقبض وجوههم، وتطيش أحلامهم، ويهرعون إلى زوجاتهم عاتبين متوعدين!



(١) أخرجه النسائي ح(١١٤١)، وأحمد ٢٥/ ٤١٩ ح(١٦٠٣٣)، وإسناده صحيح.

المطلب الثاني

اعتذاره ﷺ وقبوله أعذار الخاطئين

ما دام الإنسان لا يزال في حيِّز البشرية فإنه لن يسلم من الخطأ ـ كما سبق بيانه ـ وإن لكل شيء كفارة، وكفارة الخطأ هو المبادرة للاعتذار.

قيل لي قد أسا إليك فلان
ومقام الفتى على الضيم عارُ
قلت قد جاءنا فأحدث عذراً
دية الذنب عندنا الاعتذارُ[(١)]

والاعتذار يذهب الهموم، ويدفع الحقد، ويبعث على الطمأنينة، ويشدُّ حبل المودة.

وما أوقع الوحشة في نفوس بعض الناس حين يقع بينهم الجهل إلا استنكاف الخاطئ عن الاعتراف بخطئه، وامتناعه من الاعتذار ممن جهل عليه، فيحُلُّ في القلوب الشنآن والسخيمة.

والرجل الذي يجهل على الناس، ثم يصر على الإباء، ويجمح إلى هواه، فلا يبذل اعتذاراً، ولا يطلب غفراناً، فيه لوثة كبر خفية.

(١) بهجة المجالس ١/ ١٠٥.

قال ابن حبان: «لو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفى العجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة»(١).

وقال الراغب: «الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، وهو أبلغ وجوه الاعتذار»(٢).

وقال ابن حجر: «من وقع منه الخطأ لا ينبغي له أن يجحده، بل يعترف ويعتذر؛ لئلا يجمع بين ذنبين»(٣).

والنبي ﷺ قد عصم من الخطأ، ولكن قد يقع منه أشياء لا يدرك بعض الناس حكمتها؛ فربما وجدوا عليه ﷺ، فيبادر ﷺ إلى بيان العلة، وتوضيح الحكمة، فتطيب نفوس هؤلاء الناس، وتطمئن قلوبهم، ومما ورد عنه في ذلك:

١ ـ ما رواه الصعب بن جثَّامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء، فرده عليه رسول الله ﷺ قال: فلما أن رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي قال: «**إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم**»(٤).

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان ص١٤٩.
(٢) مفردات غريب القرآن ص١٦٩.
(٣) فتح الباري ١٢/ ٣١٠.
(٤) أخرجه البخاري ح(١٨٢٥)، ومسلم ح(١١٩٣).

قال الحافظ ابن حجر: «فيه الاعتذار عن رد الهدية؛ تطييباً لقلب المهدي»(١).

٢ ـ لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فبادر ﷺ وخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي**» إلى أن قال ﷺ: «**أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها..**»(٢).

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «**أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة(٣) من الدنيا، تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟.. قال: فبكى القوم، حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا**»(٤).

(١) فتح الباري ٤/ ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ح(٤٣٣٠)، ومسلم ح(٢٤٩٣) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

(٣) اللُّعَاعة: نبت ناعِمٌ في أَوَّلِ ما ينبت، ومنه قولهم: ما بقي في الدنيا إِلَّا لُعاعَةٌ؛ أَي: بقِيَّةٌ يسيرة، ينظر: اللسان ٨/ ٣١٩.

(٤) أخرجه أحمد ١٨/ ٢٥٥ ح(١١٧٣٠) من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن.



قال الحافظ ابن حجر: «فيه استعطاف المعاتب، وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف»[(١)].

والذي ينبغي للمسلم أن يكون صادقاً في عذره، فإن لم يكن ثَمّ عذر، فليعترف بزلته، ولا يتكلف لها الأعذار، كما قال محمود الوراق:

إذا كان وجهُ العذر ليس ببيّنٍ
فإنَّ اطّراحَ العذر خيرٌ من العذرِ[(٢)]

ويتأكد في حق من اعتُذر منه أن يقبل العذر، وينأى عن الملام؛ تأسياً بالنبي ﷺ؛ وقد دل على ذلك مواقف منها:

١ ـ ما رواه أنس بن مالك، أن النبي ﷺ مر على امرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي. ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[(٣)].

قال ابن بطال: «فيه أنه من اعتُذر إليه بعذر لائح أنه يجب عليه قبوله»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث من الفوائد ما

---

(١) فتح الباري ١٢/ ١٣٩.
(٢) الكامل للمبرد ٢/ ١٢٣.
(٣) أخرجه البخاري ح(١٢٨٣)، ومسلم ح(٢١٧٩).
(٤) شرح ابن بطال ٣/ ٢٧١.

كان فيه ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره»(١).

وقال الطيبي: «صَدَرَ هذا الجواب منه ﷺ عن قولها: لم أعرفك. على أسلوب الحكيم؛ كأنه قال لها: دعي الاعتذار؛ فإني لا أغضب لغير الله، وانظري لنفسك»(٢).

٢ ـ لما أرسل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى كفار قريش كتاباً يخبرهم فيه بعزم الرسول ﷺ وأصحابه في التوجه إلى مكة لفتحها، قال له النبي ﷺ: **«ما حملك على ما صنعت؟»** قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: **«صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً»**(٣).

٣ ـ ما رواه أبو موسى الأشعري قال: أتاني ناس من الأشعريين فقالوا: اذهب معنا إلى رسول الله ﷺ؛ فإن لنا حاجة. قال: فقمت معهم فقالوا: يا رسول الله استعن بنا في عملك. فاعتذرت إلى رسول الله ﷺ مما قالوا. وقلت: لم أدر ما حاجتهم. فصدقني رسول الله ﷺ وعذرني وقال:

(١) فتح الباري ٣/ ١٥٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سبق تخريجه ص٥٧.

«إنا لا نستعين في عملنا من سألناه»(١).

كما ينبغي قبول قول المعتذر، وإن كان ظاهر الحال يدل على عدم ثبوت العذر؛ اقتداءً بالنبي ﷺ، ومما ورد عنه في ذلك:

١ - أنه لما جاءه المخلفون عام تبوك، وطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، قبل علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وهو مع ذلك لا يصدق أحداً منهم؛ بدليل أنه لما جاءه كعب بن مالك، وأخبره بحقيقة أمره، قال: **«أما هذا فقد صدق»**(٢).

قال الحافظ ابن حجر معدداً فوائد قصة كعب: «فيها قبول المعاذير»(٣).

٢ - ما رواه زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي، أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي

---

(١) أخرجه النسائي ح(٥٣٨٢)، وأحمد ٣٢/٥١٨ ح(١٩٧٤١) وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٧٨٠)، ومسلم ح(٧١٦).
(٣) فتح الباري ٨/١٢٤.

عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ، ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: «**إن الله قد صدقك يا زيد**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات؛ لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتباتهم، وقبول أعذارهم، وتصديق أيمانهم، وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك؛ لما في ذلك من التأنيس والتأليف»(٢).

وقال العلامة ابن القيم: «من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته، حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله..».

ثم قال: «وعلامة الكرم والتواضع أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفْه عليه ولا تحاجَّه، وقل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضي شيء لكان، والمقدور لا مدفع له ونحو ذلك»(٣).

قال الشافعي:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً
إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٩٠٠)، ومسلم ح(٢٧٧٢).
(٢) فتح الباري ٨/٦٤٦.
(٣) مدارج السالكين ٢/٣٣٧.

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلَّك من يعصيك مستترا(١)

ومما يقوِّي المسلمَ في قبول عذر أخيه، استشعارُه أنه ربما احتاج لمثل هذا الموقف الذي وقفه أخوه أمامه، فهل يسرُّه حينَها أن يُردَّ خاسئاً وهو حسير، فكما تدين تدان.

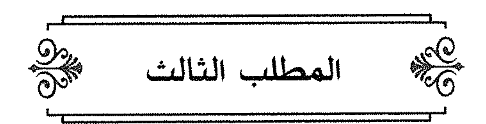
فما أجمل ذلك الأب الذي لما أتاه ابنه يلقي معاذيره، قبل عذره، وبرأه من الملام.

وأكرم بذاك الزوجِ الذي إذا اعتذرت إليه زوجه من التقصير، نفض عنها غبار اللوم، ووجد لها في ذلك عذراً بيناً.

ولله در ذاك الصديق الذي لما أتاه صاحبه معتذراً إليه من هفوة فرطت، أو سقطة بدت ـ بادره وهوَّن عليه، ألَّا تخاف دَرَكاً ولا تخشى.



(١) ديوان الشافعي ص٦٠.



المطلب الثالث

حسن ظنه ﷺ بمن نسب إليه الخطأ

ينبغي لمن أوتي شهامة في طباعه، وسخاوة في أخلاقه، أن يحسن الظن بأخيه إذا سمع عنه سوءاً؛ فهذا أدبٌ دعا إليه ربنا في كتابه، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

قال الزمخشري في تفسيره: «فيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير: ﴿هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال، وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت، ولا يشيع ما سمعه...»(١).

- وهذا الأدب القرآني تروّاه النبي ﷺ وعمل به، ففي حادثة الإفك يطعن ﷺ في عرضه، وتلقى التهمة على أحب

(١) الكشاف ٣/ ٢١٣.

نسائه، ويتوهم السوء في رجل من أصحابه، وهو صفوان بن المعطَّل، وتشيع هذه القالة في المدينة، إنه موقف عصيب؛ وامتحان كبير، ومع ذلك لم يتغير رأيه ﷺ في عائشة، ولا في صفوان؛ بل أثنى ﷺ عليهما خيراً، فقال: «**من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً**»[١].

ولا عجب من النبي ﷺ أن يقف هذا الموقف العظيم، فله القِدْح المعلى في الأخلاق الحسنة؛ والحظ الوافر من الشمائل المحمودة.

وإنك تجد كثيراً من الناس يسمعون الجرح فيمن اشتهر فضله وعلمه، فيسارعون إلى تصديق هذا الجرح، دون أن يتبينوا صدق الدعوى، ويسيرون فيه زرافاتٍ ووحداناً، ويشعلون المجالس، ومواقع التواصل بفري عرض هذا الرجل، بناء على شائعات غير ثابتة، وأفهام غير صحيحة.

وفي حادثة الإفك ـ أيضاً ـ يسأل رسولنا ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها عن أمر عائشة رضي الله عنها ويقول: «**يا زينب ماذا علمت؟ أو رأيت؟**».

فهل قالت زينب: هذه فرصة تهتبل، وموقف يستغل، فسأذكر من مساوئ جارتي، ما يزهد الرسول ﷺ فيها؟

---

(١) أخرجه البخاري ح(٢٦٦١)، ومسلم ح(٧١٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

كلا، لم تقل زينب ذلك، ولو قالته ـ وحاشاها أن تفعل ـ لقيل: هذا أمر متوقع حدوثه بين الضرات، وقد كانت أختها حمنة بنت جحش تحارب لأختها زينب، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك»[١].

لكن صاحبة الشأن وهي زينب رضي الله عنها لم تقع في شيء من ذلك، وإنما أجابت النبي ﷺ لما سألها، فقالت كلمة سطرتها كتب السُّنَّة والسير، لقد قالت: «يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً»[٢]، قالت عائشة: «وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع»[٣].

سبحان الله، ما أعجب هذا! عائشة ضرتها، وهي التي تساميها في الفضل، ومعلوم ما يجري بين الضرائر من الغيرة الشديدة والحسد، ومع ذلك تقول زينب هذا القول المنصف، فللّه درها، ما أغلبها لهواها، وما أعظم دينها وتقواها، فرضوان الله عليها يحوطها ويغشاها.

وهكذا فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه في غزوة تبوك، لما سأل الرسول ﷺ عن كعب بن مالك، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا

(١) هو جزء من حادثة الإفك، وقد سبق تخريج حديثها ص٨٠.
(٢) هو جزء من حادثة الإفك، وقد سبق تخريج حديثها ص٨٠.
(٣) هو جزء من حادثة الإفك، وقد سبق تخريج حديثها ص٨٠.

عليه إلا خيراً[١].

وهذا الموقف من معاذ له أثره في نفس كعب؛ فلما كبرت سن كعب، وكف بصره، وأخذ يذكر قصته في تخلفه عن غزوة تبوك، وأحداثها وتفاصيلها، لم يُغْفِل ذكر هذا الموقف من معاذ رضي الله عنه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٢].

ويتأكد إحسان الظن فيمن اعتاد منه الناس سهولة الأخلاق، وجمال الأفعال، وسلاسة الطباع؛ فإذا وقعت منه الفلتة من الزلل مرة؛ تعين إحسان الظن به؛ وعدم الحكم عليه بهذه الزلة؛ فلكل جواد كبوة، ولكل حليم هفوة؛ بل يحكم عليه بما اعتيد منه وأُلف؛ لأن العادة محكمة، وهي إذا اطردت أو غَلبت اعتُبرت.

وقد ورد في هدي النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا؛ ففي قصة الحديبية سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلْ حلْ[٣]، فألَحَّت

(١) أخرجه البخاري ح(٤٤١٨)، ومسلم ح(٧١٩٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مداراة الناس رقم (٤٥).

(٣) بفتح الحاء، وسكون اللام، هو زجر الناقة للنهوض. ينظر: فتح الباري ١/١٠٧.

فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**»(١).

قال ابن حجر في فقه هذا الحديث: «جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها، ويرد على من نسبه إليها»(٢).

ألا وإنه يحسن التنبيه عند الكلام في حسن الظن على مسألتين مهمتين:

الأولى: أنه ينبغي للمسلم أن ينأى بنفسه عن كل قول وفعل يجلب سوء الظن به، وإذا وقع منه شيء من ذلك فليبادر إلى الاعتذار لنفسه؛ ولذلك قال النبي ﷺ للرجلين اللّذين أسرعا لما رأياه يمشي مع صفية بنت حيي رضي الله عنها: «**على رسلكما؛ إنها صفية بنت حيي**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال شيئاً**»(٣).

قال ابن دقيق العيد ـ في شرحه لهذا الحديث ـ: «فيه

(١) أخرجه البخاري ح(٢٩٣٤)، ومسلم ح(٢١٧٥) من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.
(٢) فتح الباري ٥/ ٣٣٥.
(٣) أخرجه البخاري ح(٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

دليل على التحرز مما يقع في الوهم نسبة الإنسان إليه مما لا ينبغي.. وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى بهم، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب ظن السوء بهم، وإن كان لهم فيه مخلص؛ لأن ذلك تسببٌ إلى إبطال الانتفاع بعلمهم»(١).

وقال ابن جماعة ـ عند استدلاله بهذا الحديث ـ: «وكذلك يتجنب مواضع التهم وإن بعدت، ولا يفعل شيئًا يتضمن نقص مروءة، أو ما يُسْتَنْكَرُ ظاهراً، وإن كان جائزاً باطنًا، فإنه يُعَرِّضُ نفسه للتهمة، وعرضه للوقيعة، ويوقع الناس في الظنون المكروهة، وتأثيم الوقيعة، فإن اتفق وقوع شيء من ذلك لحاجة أو نحوها، أخبر من شاهده بحلمه وبعذره ومقصوده؛ كيلا يأثم بسببه، أو يَنْفر عنه..»(٢).

الثانية: الأمر بحسن الظن بالآخرين لا يعني أن يكون المسلم مغفلاً ساذجاً؛ يخدع المرة بعد الأخرى، ثم لا يتبصر، ولا يعتبر، فقد قال النبي ﷺ: **«لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»**(٣).

قال الخطابي: «معناه أن المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى وهو لا يفطن بذلك، ولا يشعر به»(٤).

---

(١) إحكام الأحكام ١/ ٢٦١.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٩.
(٣) أخرجه البخاري ح(٦١٣٣)، ومسلم ح(٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة.
(٤) معالم السنن ٤/ ١١٨.

وقال الخليفة الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لست بالخَب، ولا الخَب يخدعني»[١].

و«استعمال سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم؛ فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]، وقال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤]، ثم لما احتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٣] فهم في الأخيرة ـ وإن لم يكونوا مفرطين ـ فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه ولا حرج»[٢].



(١) أدب الدنيا والدين ص٢٥، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٠٢. ومعنى الخب: قال في اللسان ١/٣٤١: «بالفتح: الخدَّاع وهو الذي يسعى بين الناس بالفساد؛ ورجل خَب وامرأة خَبة، وقد تكسر خاؤه».

(٢) تفسير السعدي ص٤٠٧.

المطلب الرابع

إعراضه ﷺ عن الجاهلين

من الناس من تجد في طبعه حدة، وفي لسانه سوءاً، يغمز فيه، ويلمز؛ دون جريرة في الملموز إلا الحسد والبغضاء.

وإن شفاء مثل هذا الداء يسيرٌ على من يسره الله عليه، بأن يكون من أوذي وقور النفس، رصيناً، رزيناً، واسع الخُلُق.

قال العلامة السعدي: «لما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله»(١).

وهكذا كان أدب نبينا ﷺ، فقد كان يسمع كلماتٍ خشنةً نافرة، تنبو عنها الأسماع، وتنفر منها الطباع، فلم يكن يقابل قائلها بمثلها، بل كان صابراً؛ يمتثل أمر ربه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ومما ورد عنه في ذلك ما يلي:

١ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر،

---

(١) تفسير السعدي ص٣١٣.

فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقضى أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل[١]. فقال النبي ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**»[٢].

فما كان ينبغي لولي هذه المرأة إلا أن يذعن لحكم رسول الله ﷺ، ولكنه اعترض عليه بهذا الكلام الفجِّ على الذوق، الثقيل على السمع، فلم يعاقبه رسول الله ﷺ.

قال ابن بطال: «كره عليه السلام قول ولي المرأة؛ لما أشبه سجع الكهان الذين يستعملونه في الباطل ودفع الحق، ألا ترى أنه أتى بسجعه محتجاً على رسول الله ﷺ في دفع شيء قد أوجبه عليه، فاستحق بذلك غاية الذم، وشديد العقوبة في الدنيا والآخرة، غير أن النبي ﷺ جبله الله على الصفح عن الجاهلين، وترك الانتقام لنفسه، فلم يعاقبه في اعتراضه عليه»[٣].

٢ ـ ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ، وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ

(١) أي: يهدر، ينظر: النهاية ٣/ ١٦٣.
(٢) أخرجه البخاري ح(٥٧٥٨)، ومسلم ح(١٦٨١).
(٣) شرح ابن بطال ٩/ ٤٣٩.

قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك[١].

ما أعظم حلم نبينا، وما أزكى نفسه، وما أكرم خلقه، يخاطبه رأس المنافقين بهذا الطيش، فيثبت ﷺ، فلا يستخفه سفه، ولا يستثيره غضب، فلا يجيبه، بل يعرض عنه، فخيرٌ من إجابته السكوت.

٣ ـ ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ قسماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأخبرت النبي ﷺ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، وقال: «**يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[٢].

وما أجمل ما فعل الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل عليه عيينة بن حصن، فقال: هِيْ[٣] يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى أهم أن يوقع به، فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]

---

(١) أخرجه البخاري ح(٢٦٩١)، ومسلم ح(١٧٩٩).
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٣٣٦)، ومسلم ح(١٠٦٢).
(٣) بكسر الهاء، وسكون الياء، اسم فعل أمر، يأتي بمعنى الاستزادة، وبمعنى التهديد، وليس له محملٌ هنا سوى الاستزادة.
ينظر: عمدة القاري ٢٥/٤٨، المعجم الوسيط ٢/٩٣٢.

وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله ـ تعالى ـ[١].

ولله درُّ الإمام الشافعي حين قال:

قالوا: سكتَّ وقد خوصمتَ قلت لهم
إن الجواب لباب الشر مفتاحُ
والصمت عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ
وفيه أيضاً لصون العرض إصلاحُ
أما ترى الأُسْدَ تخشى وهي صامتةٌ
والكلبَ يخسى لعمري، وهو نباحُ[٢]

وقال:

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكرهُ أن أكونَ له مجيباً
يزيد سفاهة فأزيدُ حِلما
كعود زاده الإحراق طيباً[٣]



(١) أخرجه البخاري ح(٤٦٤٢).
(٢) ديوان الشافعي ص٤٧.
(٣) ديوان الشافعي ص٣٠.

المطلب الخامس

عفوه ﷺ عن الخاطئين

أن يجهل عليك أحدهم، ثم تقدر على معاقبته، ثم لا تفعل؛ بل تقيل عثاره، وتصفح عنه صفحاً جميلاً، فهذه عظمة تتصاغر عندها الهمم، وتملأ الصدور هيبة وإجلالاً.

وإن المتأمل لحال الرسول ﷺ ليجد هذا الخلق الكريم، قد أخذ فيه النبي ﷺ بالحظ الوافر، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله»[1].

وتقول رضي الله عنها في حديث آخر: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[2].

والسُّنَّة النبوية حافلة بهذا المعنى، وهذه بعض مواقفه ﷺ في ذلك:

١ ـ ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه،

(١) أخرجه البخاري ح(٦١٢٦)، ومسلم ح(٢٣٢٧).
(٢) سبق تخريجه ص١٧.

فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس في العضاه؛ يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس. فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً**». فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: «**الله**» فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ[(١)].

٢ ـ ما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم، كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد؛ ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣٩٠٥).
(٢) أخرجه البخاري ح(٣٢٣١)، ومسلم ح(١٧٩٥).

٣ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: لما دخل النبي ﷺ مكة لفتحها لجأ صناديد قريش وعظماؤها إلى الكعبة، فجاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمر بتلك الأصنام، فيطعنها بسية القوس[1]، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، حتى إذا فرغ وصلى جاء فأخذ بعضادتي الباب، ثم قال: «**يا معشر قريش ما تقولون؟**» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم. ثم عاد عليهم القول، قالوا مثل ذلك. قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] فخرجوا فبايعوه على الإسلام[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا كان هذا خيرَ خلق الله وأكرمَهم على الله لم ينتقم لنفسه، مع أن أذاه أذى الله، ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرفُ الأنفس وأزكاها وأبرها، وأبعدُها من كل خلق مذموم، وأحقُّها بكل خلق جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها، فكيف ينتقم أحدنا لنفسه التي هو أعلم بها، وبما فيها من الشرور والعيوب، بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه

---

(١) قال السيوطي في الديباج ٤/ ٣٩١: «بكسر السين المهملة، وتخفيف الياء المفتوحة، المنعطف من طرفي القوس».

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى ٦/ ٣٨٢، من حديث أبي هريرة، وإسناده حسن.

انتصاره لها»[١].

ويتأكد العفو مع ذوي الهيئات الكريمة، والنفوس الطيبة، الذين يندر أن يقع منهم الشر، فيعفى عن عثرتهم، ويغض الطرف عن زلتهم، وفيما يروى عن النبي ﷺ: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»[٢].

قال الإمام الشافعي: «وذوو الهيئات الذين يقالون في عثراتهم: هم الذين ليسوا يُعرفون بالشر، فيزل أحدهم الزلة»[٣].

ومما ورد في هديه ﷺ في ذلك أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أرسل إلى كفار قريش كتاباً يخبرهم فيه بعزم الرسول ﷺ وأصحابه في التوجه إلى مكة لفتحها، قال

---

(١) قاعدة في الصبر ١/١٧١، وهي مطبوعة ضمن رسائل أخرى له مسماة بـ«جامع المسائل» ١/١٦٥ ـ ١٧٤، وهي رسالة جمة الفوائد، مشرقة الدلالة، من أحسن ما كتب في خلق العفو عن الناس.
وللإمام ابن القيم إبداع وإشراق في قضية العفو في مدارج السالكين ٢/٣١٨ ـ ٣٢٤، ومفتاح دار السعادة ٢/٢٩٦، وبدائع الفوائد ٣/٣٥٨، أكتفي بإحالة القارئ عليهما إيثاراً للاختصار.

(٢) أخرجه أبو داود ح(٤٣٧٥)، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٨، من طريق عبد الملك بن زيد المدني، عن محمد بن أبي بكر، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمٰن، عن عائشة رضي الله عنها قال ابن عدي في الكامل ٥/٣٠٨: «هذا الحديث منكر بهذا الإسناد، لم يروه غير عبد الملك بن زيد»، وقال العقيلي في الضعفاء ٢/٣٤٣: «قد روي بغير هذا الإسناد، وفيه ـ أيضاً ـ لين، وليس فيه شيء يثبت».

(٣) سنن البيهقي ٨/٣٣٤.

النبي ﷺ: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: «**صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً**» قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه. قال: فقال: «**يا عمر، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة**» قال: فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[١].

قال الحافظ ابن حجر: «فيه العفو عن زلة ذوي الهيئة»[٢].

ويكون الأمر بالعفو أكثر تأكيداً إذا وقع الخطأ من ذي الهيئة على سبيل الاجتهاد، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة - والربيع الجدول - فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: «**أبو هريرة؟**» فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «**ما شأنك؟**» قلت:

---

(١) سبق تخريجه ص٥٧.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٣١٠.

كنت بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقطع دوننا، ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: «**يا أبا هريرة** - وأعطاني نعليه - **قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**» فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أبا هريرة؟**» قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي. قال: «**ارجع**» فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عمر ما حملك على ما فعلت؟**» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «**نعم**» قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: «**فخلهم**».

والشاهد من هذا الحديث أن الرسول ﷺ لم يأخذ القود لأبي هريرة من عمر رضي الله عنهما؛ لأن هذا الأمر وقع من عمر رضي الله عنه اجتهاداً منه، وهو له المكانة العظمى، والسابقة الأولى في الإسلام.

وليعلم بأن العفو المأمور به إنما هو في الهفوات التي لا تمس ديناً، ولا تورث شراً، وإنما هي حقوقٌ شخصية.

أما العفو للموغل في الشر والأذى، والمتمادي في الغي والضلال، فهذا لا ينبغي فعله؛ ولذا لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس، إلا أربعة نفر وامرأتين وقال: «**اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل، ومِقْيس بن صُبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح**»(١).

قال العلامة السعدي: «وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به»(٢).

وقال العلامة العثيمين: «في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] إشارة إلى أن العفو لا يُمْدَح إلا إذا كان من الإحسان؛ وذلك بأن يقع موقعه ويكونَ إصلاحاً، فأما العفو الذي تزداد به جريمة المعتدي، فليس بمحمود ولا مأجور عليه»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٦٨٣)، والنسائي رقم (٤٠٦٧) من حديث سعد بن أبي وقاص، وصححه الحاكم ٣/ ٤٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٦٩: «رجاله ثقات».

(٢) تفسير السعدي ص٧٦٠.

(٣) مجالس رمضان ص١١٦.

المطلب السادس

إحسانه ﷺ إلى الخاطئين

أن يجهل عليك أحدهم، ثم تقدر على معاقبته، ثم لا تفعل، بل تحسن إليه وتكرمه، فهذا خُلُقٌ لا يسْطيعه إلا موفق، ذو حظ عظيم في الخيرات والمبرات؛ ولا يناله إلا صاحب همة علية؛ ذو مروءة جزلة؛ قد تَسَنَّمَ ذِرْوَةَ المجد، وأمَّ معالي الأمور، فكرُمت خليقته، ونبُلت نفسه، وجزُلت مروءته، فلم تلن قناته لغامز؛ فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته، وعدم العفو عنه، فكيف بالعفو عنه، والإحسان إليه.

وقد تحدث العلامة ابن القيم عن شدة معالجة هذا الأمر، فقال: «هو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، فكلما ازداد أذىً وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدِّق بأن هذا يكون، فضلاً عن أن تتعاطاه. .»[1].

وهذا الهدي قد دعا إليه ربنا في كتابه، فقال: ﴿وَلَا

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٣٥٦.

تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن العربي: «اسلك مسلك الكرام، ولا تلحظ جانب المكافأة، ادفع بغير عوض، ولا تسلك مسلك المبايعة، ويدخل فيه: سلم على من لم يسلم عليك، وتكثر الأمثلة، والقصد مفهوم، فاسلكوه»(١).

ودعا إلى هذا الخلق العظيم رسولنا ﷺ بقوله وفعله، أما قوله، فقد قال ﷺ: **«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»**(٢).

وقد حكى رسولنا ﷺ نبياً من الأنبياء، ضربه قومه، فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: **«اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**(٣).

وقد علق ابن القيم على حال هذا النبي، فقال: «تأمل كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه؛ **أحدها**: عفوه عنهم، **والثاني**: استغفاره لهم، **الثالث**: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، **الرابع**: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: اغفر لقومي، كما

(١) أحكام القرآن ٣/ ٣٣٠.
(٢) أخرجه البخاري ح(٥٩٩١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري ح(٣٤٧٧)، ومسلم ح(١٧٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي»[١].

وقد روى أبو الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت رجلاً نزلت به، فلم يكرمني، ولم يَقرِني[٢]، ثم نزل بي أجزيه بما صنع، أم أقريه؟ قال ﷺ: «أقره»[٣].

وأما فعله ﷺ فيقول أنس رضي الله عنه: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداءٌ نجرانيٌ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٤].

وفي رواية عند مسلم: «ثم جبذه إليه جبذةً، رجع نبيُّ الله ﷺ في نحر الأعرابي».

وفي رواية أخرى عند مسلم: «فجاذبه، حتى انشق البُرْدُ، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ».

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٣٥٦ ـ ٢٥٧.
(٢) القِرى: هو الضيافة، ينظر: تاج العروس ٣٩/ ٢٩٤.
(٣) أخرجه الترمذي ح(٢٠٠٦)، وأحمد ٢٥/ ٢٢٣ ح(١٥٨٨٨)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
(٤) أخرجه البخاري ح(٣١٤٩)، ومسلم ح(١٠٥٧).

سبحان الله! ما أعظم أخلاقَ هذا الرسول ﷺ التي تملأ الصدور عظمة وإجلالاً، كيف قابل جفاء هذا الأعرابيِّ وجهلَه وطيشَه، بهذه الأريحية، وهذا الندى؟! إنها رفعةٌ لا تُسامَى، وعظمةٌ لا تغالب.

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها، وما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائلٌ
يغرى بهن، ويولع الكرماء(١)

إن هذا الأعرابي الذي رأى النبي ﷺ كريم الخليقة، جزل العطاء، سمح الكفين، لا تُبعد أن تراه بعد ذلك يقدم نفسه رخيصة في سبيل الله.

وقد روى سعيد بن المسيب أن صفوان بن أمية قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»(٢).

إن من وفقه الله، فأخذ بهذا الهدي النبوي، فهنيئاً له دخوله في هذه الآية: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥].

وقد أخذ بهذا الهدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان ينفق

---

(١) الشوقيات ١/ ٣٤.
(٢) أخرجه مسلم ح(٢٣١٣).

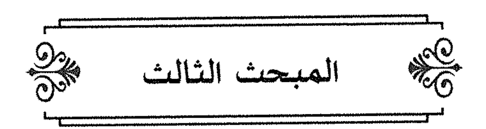
على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، ثم إن مسطحاً قال ما قال في عائشة في حادثة الإفك، فأراد أبو بكر أن يقطع صلته، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه(١).



(١) أخرجه البخاري ح(٢٦٦١)، ومسلم ح(٧١٩٦).



مما يعين على تطبيق
هذا الهدي النبوي



المبحث الثالث

مما يعين على تطبيق هذا الهدي النبوي

وبعد ذكر الهدي النبوي في التعامل مع الناس قد يقول قائل: إن تطبيق بعض هذه الأخلاق عسِرٌ شديدٌ على النفس، وقد يقول آخر: إن تغيير الطباع مستحيل الوقوع(١).

فيقال لمثل هذا: لا شك بأن تغيير الطباع ليس بالأمر السهل، قال ابن بطال: «مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي عليه السلام جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم، ومن هذا الحديث(٢) قال الحسن البصري حين سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: «**جهادك نفسك وهواك**»(٣)».

وقال ابن القيم: «أصعب ما على الطبيعة الإنسانية: تغيير

(١) وربما احتج بعضهم بالمثل العامي: «مِنْ به طْبيعٍ ما تركه»، وقد صار هذا المثل سبباً في صد بعض الناس عن تعديلِ سلوكه السيئ، وخلقه البغيض. ينظر: الأمثال العامية في نجد ٤/١٣٩٩.

(٢) يقصد بالحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»، وقد أخرج الحديث البخاري ح(٦١١٤)، ومسلم ح(٦٨٠٩).

(٣) شرح ابن بطال ٩/٢٩٦.

الأخلاق التي طبعت النفوس عليها»[١].

وقال ابن رجب: «وهذا عزيز جداً، وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق سواء غضب أو رضي؛ فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول»[٢].

ولكن مع هذا فإن تغيير الطباع أمرٌ ممكن، ليس مستحيلاً، ولا ممتنعاً؛ ويستعان على ذلك بأمرين من الهدي النبوي:

الأول: الدعاء؛ فما استجلب الخير، واستدفع الشر بمثل دعاء الله، والاستعانة به، وقد كان من دعائه ﷺ في استفتاح الصلاة: «**اللَّهُمَّ اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[٣]، ومن دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**»[٤]، ومن دعائه ﷺ: «**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب**»[٥].

ويتأكد الدعاء عند الخروج من البيت؛ لأنه مظنة وقوع الجهل، فقد روت أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣١٢.
(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٤٨.
(٣) أخرجه مسلم ح(٧٧١).
(٤) أخرجه الترمذي ح(٣٥٩١)، والحاكم ١/ ٥٣٢، قال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد على شرط مسلم».
(٥) أخرجه النسائي ح(١٣٠٥)، والحاكم وصححه.

بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله، اللَّهُمَّ إنا نعوذ من أن نزل، أو نضل، أو نَظلم، أو نُظلم، أو نَجهل، أو يُجهل علينا»[(١)].

الثاني: الإرادة الجازمة، والنية العازمة على تغيير الأخلاق المرذولة؛ فإن من جزم وعزم، وصبر وصابر، فما يلبث إلا وتتبدل أخلاقه، وتصلح حاله؛ فإن الله ـ سبحانه ـ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ورسوله ﷺ قال: «ومن يتصبر يصبره الله..»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: «فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له، ويذعن لتحمل الشدة»[(٣)].

ففي هذا الحديث دليل على أن الأخلاق قابلة للتغيير.

قال ابن القيم: «مَنْ زاول شيئاً، واعتاده، وتمرن عليه، صار ملكة له، وسجية، وطبيعة، والعوائد تنقل الطبائع، فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له سجية، كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً، بمنزلة الطبائع، وقد جعل الله ـ سبحانه ـ في الإنسان قوة القبول والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفاً، فيعود العبد إلى طبعه

---

(١) سبق تخريجه ص٦.
(٢) أخرجه البخاري ح(١٤٦٩)، ومسلم ح(١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) فتح الباري ١١/ ٣٠٤.

بأدنى باعث، وقد يكون قوياً، ولكن لم ينقل الطبع، فقد يعود إلى طبعه إذا قوي الباعث واشتد، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعاً ثانياً، فهذا لا يكاد يعود إلى طبعه الذي انتقل عنه»[١].

والنفس على ما يعودها صاحبها، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع[٢]

وكم من الناس من تغيرت حاله، واختفت عيوبه، بسبب تمرينه نفسه، ورياضته طبعه، وهذا العالم الكبير أبو محمد ابن حزم يتحدث عن تجربته في تعديل سلوكه، فيقول: «كانت في عيوب، فلم أزل بالرياضة واطلاعي على ما قالت الأنبياء - صلوت الله عليهم - والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق، وفي آداب النفس أعاني مداواتها حتى أعان الله ﷻ على أكثر ذلك بتوفيقه ومنه.

وتمام العدل ورياضة النفس هو الإقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يوماً - إن شاء الله -.

فمنها كَلَفٌ في الرضاء، وإفراط في الغضب، فلم أزل أداوي ذلك حتى وقفت عند ترك إظهار الغضب جملة بالكلام

(١) عدة الصابرين ص١٢.
(٢) شرح أشعار الهذليين ١/ ١١.

والفعل والتخبط، وامتنعت مما لا يحل من الانتصار، وتحملت من ذلك ثقلاً شديداً.

ومنها دعابة غالبة، فالذي قدرت عليه فيها إمساكي عما يغضب الممازح.

ومنها عجب شديد، فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها، حتى ذهب كله، ولم يبق له والحمد لله أثر.

ومنها حركات كانت تولدها غرارة الصبا، وضعف الإغضاء، فقصرت نفسي على تركها فذهبت.

ومنها محبة في بعد الصيت والغلبة، فالذي وقفت عليه من معاناة هذا الداء الإمساك فيه عما لا يحل في الديانة، والله المستعان على الباقي.

ومنها حقد مفرط قدرت بعون الله تعالى على طيه وستره وغلبته على إظهار جميع نتائجه، وأما قطعه البتة فلم أقدر عليه، وأعجزني معه أن أصادق من عاداني عداوة صحيحة أبداً»[1] إلى آخر ما قال رحمه الله.



(١) الأخلاق والسير ص٨٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أما بعد، فقد خلصت في ختام هذا البحث إلى النتائج التالية:

١ ـ أنه لما كان الإنسان لا بد له من الاختلاط ببني جنسه، فقد أرشده الرسول الكريم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ إلى الهدي المستبين في التعامل مع الناس، وهو كما يلي:

أ ـ حسن الخلق مجمع الفضائل، ومنبع المحاسن، ولا يخيب صاحب أخلاق حسان أبداً؛ ولا يعنو كمداً؛ لأنه لا يظهر حسداً، ولا يؤذي أحداً؛ ولذا كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقَاً، فمن أراد أن يفلح في تعامله مع الناس، فليلزم حسن الخُلُق فثَمَّ النجاح والفلاح.

ب ـ كان النبي ﷺ يعامل الناس على حسب طبائعهم؛ فالناس فيهم واسع الصدر، وفيهم ضيِّقه، والموفق من اقتفى هدي النبي ﷺ فعامل كلاً حسب طبعه.

ج ـ كان النبي ﷺ ينزل الناس منازلهم؛ فكان يراعي أهل الوجاهة وكبار السن، ويحفظ حق صاحب المعروف، ويفضل من يستحق التفضيل، ويثني على من هو أهل للثناء،

ويتعرف على أسماء الوافدين عليه؛ حتى ينزلهم منازلهم، فالناس فيهم العالم والجاهل، والأمير والمأمور، والوجيه والوضيع، وإن مراعاة منزلتهم سبيلٌ لكسب قلوبهم، وإشاعة روح المودة والإخاء بينهم.

د ـ كان النبي ﷺ يعامل الناس على حسب عقولهم؛ فكان يخص بالحديث بعض أصحابه دون بعض؛ لأن المدارك تختلف، والعقول تتفاوت، وكان لا يستنكف من مخالطة الصغار ومن في عقلهم شيء.

هـ ـ كان النبي ﷺ يعامل الناس على حسب ما يظهر منهم، ويكل سرائرهم إلى الله، فلا ينبغي أن يساء الظن بالناس إذا لم يكن ثَمَّ قرينة تدعو إلى ذلك.

٢ ـ من لازم الاختلاط بالناس أن يقع الجهل منهم بعضهم على بعض، وقد بين النبي ﷺ كيفية معالجة هذا الأمر بالطرق التالية:

أ ـ كان من هديه ﷺ التغافل عن الأخطاء الشخصية المعتادة؛ لأنه لا يسلم منها أحد، خاصة مع من تطول عشرته كالزوجة، والخادم، والصاحب؛ حتى تبقى المودة، وتقوى الصلة.

وكذلك ينبغي التغافل عن جهل من لا يعقل الملامة كالأطفال غير المميزين ونحوهم.

ب ـ يحسن بالخاطئ أن يبادر إلى الاعتذار؛ فإنه كفارة الخطأ، وهو يدفع الحقد، ويسل السخيمة.

ج ـ يتأكد في حق من اعتُذر منه أن يقبل العذر، ويكلَ السرائر إلى الله، وإن كان ظاهر الحال يدل على عدم ثبوت العذر؛ تأسياً بالنبي ﷺ.

د ـ أحياناً يجهل عليك أرعن بأمر لا يمكن تجاهله والتغافل عنه، ففي مثل هذه الحال يؤخذ بالهدي النبوي هنا وهو الإعراض عن الجاهلين؛ ففي ذلك أبلغ إجابة، وسيرتد طرف الخاطئ إليه خاسئاً وهو حسير.

هـ ـ العفو عن الخاطئ، والإحسان إليه خلقان نبويان، أخذ منهما نبينا ﷺ بالحظ الوافر، وهما من أنفع ما يعالج به البغي والخطأ.

و ـ العفو المأمور به هو في الأخطاء الشخصية التي لا تمس ديناً، ولا تورث شراً.

أما العفو الذي يزداد به الشر، ويتمادى صاحبه في الغي والضلال، فهذا لا ينبغي فعله.

ز ـ من دعا ربه، وجد واجتهد في تغيير طباعه فإنه لا يلبث إلا وتتبدل حاله، وتصلح أخلاقه؛ فإن تغيير الطباع السيئة ممكن، والارتقاء بها إلى الكمالات يسير على من يسره الله عليه.

اللَّهُمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللَّهُمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.

اللَّهُمَّ صلِّ على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلِّم.



فهرس المصادر

١ - **الآداب الشرعية، والمنح المرعية**، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤١٧هـ.

٢ - **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، لابن دقيق العيد، مطبعة السُّنَّة المحمدية.

٣ - **أحكام القرآن**، لأبي بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٤ - **الأخلاق والسير**، لابن حزم، دار المشرق العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥ - **أدب الدنيا والدين**، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦ - **الأسامي والكنى**، لأبي أحمد الحاكم الكبير، تحقيق: يوسف الدخيل، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.

٧ - **الاستقامة**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٣هـ.

٨ - **الأمثال العامية في نجد**، لمحمد بن ناصر العبودي، دار الثلوثية، الرياض، ط٢، ١٤٣١هـ.

٩ - **بهجة قلوب الأبرار، وقرة عيون الأخيار، في شرح جوامع الأخبار**، تأليف: الشيخ عبد الرحمٰن السعدي، تحقيق: د. عمر بن عبد الله المقبل، ط١، ١٤٣٣هـ، دار المنهاج، الرياض.

١٠ ـ **التاريخ الكبير**، للبخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١ ـ **تذكرة السامع والمتكلم**، لابن جماعة الكناني، تحقيق: السيد محمد الندوي، رمادي للنشر، ط١، ١٤١٥هـ.

١٢ ـ **تفسير السعدي، المسمى: «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»**، لعبد الرحمٰن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣ ـ **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٤ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لابن حجر العسقلاني، عني بتصحيحه: السيد عبد الله اليماني، ١٣٨٤هـ.

١٥ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر ابن عبد البر، مجموعة محققين، وزارة الأوقاف في المملكة المغربية، ١٤٠٥هـ.

١٦ ـ **التيسير بشرح الجامع الصغير**، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٧ ـ **جامع الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٨ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، لزين الدين ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٣، ١٤١٢هـ.

١٩ ـ **جامع المسائل**، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر أبو زيد، عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠ - **جزء في فوائد حديث أبي عمير**، لأبي العباس الطبري، المعروف بابن القاص، تحقيق: صابر البطاوي، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

٢١ - **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

٢٢ - **حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء**، تأليف: أبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٣ - **الديباج على مسلم**، للسيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الجويني، دار ابن عفان.

٢٤ - **ديوان أبي فراس الحمداني**، تحقيق: محمد التونجي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، ط١، ١٩٨٧م.

٢٥ - **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، جمع وتحقيق: محمد خير البقاعي، قدم له: شاكر الفحام، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨١م.

٢٦ - **ديوان الشافعي**، جمعه وشرحه: نعيم زرزور، قدم له: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط٥، ١٤١٥هـ.

٢٧ - **رسائل الجاحظ**، تحقيق: الدكتور محمد طه الحاجري، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٢٨ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩ - **روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء**، لابن حبان، اعتنى به: إبراهيم الحازمي، دار الشريف، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٣٠ - **روضة المحبين**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ.

٣١ - **سنن ابن ماجه**، اعتنى به: فريق بيت الأفكار الدولية.

٣٢ ـ **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٣٣ ـ **السنن الكبرى**، للبيهقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٤٤هـ.

٣٤ ـ **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٥ ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٦ ـ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠.

٣٧ ـ **شرح أشعار الهذليين**، لأبي سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٣٨ ـ **شرح ديوان أبي تمام**، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩ ـ **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٤٠ ـ **شرح الكافية الشافية**، تأليف: ابن مالك الجياني، تحقيق: عبد المنعم هريري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١.

٤١ ـ **الشوقيات**، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٢ ـ **صحيح البخاري**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٤٣ ـ **صحيح مسلم**، إخراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار الدولية.

٤٤ ـ **الصناعتين**، لأبي هلال العسكري، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٤٥ ـ الضعفاء، لأبي جعفر العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤٦ ـ عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، تحقيق: زكريا يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧ ـ العباب الزاخر، واللباب الفاخر، تأليف: الحسن الصغاني، تحقيق: د. فير محمد حسن، منشورات المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٣٩٨هـ.

٤٨ ـ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٤٩ ـ العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، لناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت.

٥٠ ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تأليف: الحافظ الدارقطني، تحقيق: د. محفوظ الرحمٰن السلفي، دار طيبة، الرياض.

٥١ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت.

٥٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: العلامة عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية بالسعودية.

٥٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤ ـ **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير، وجماعة، دار المعارف.

٥٥ ـ **مجالس رمضان**، لابن عثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٦ ـ **المجروحين من المحدثين**، لابن حبان، تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٧ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تأليف: نور الدين الهيثمي، ط٣، ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٨ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٥٩ ـ **مدارج السالكين**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٦٠ ـ **المراسيل**، لأبي محمد ابن أبي حاتم الرازي، تعليق: أحمد الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦١ ـ **معالم السنن**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ط١، ١٣٥٢هـ، المطبعة العلمية، حلب.

٦٢ ـ **مفتاح دار السعادة**، ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٣ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبي القاسم، دار القلم، دمشق.

٦٤ ـ **المفهم لما أشكل من صحيح مسلم**، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو ورفاقه، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٦٥ ـ **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٦ ـ **المعجم الوسيط**، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

٦٧ ـ **المنتخب من العلل للخلال**، لابن قدامة، تحقيق: محمد الأزهري، الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.

٦٨ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تأليف: شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، ط١، ١٣٨٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

٦٩ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٧٠ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٧١ ـ **همع الهوامع**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة